تصوّف الغرب الإسلامي

# الرّسالة الششتريّة
# أو
# الرّسالة العلميّة في التصوّف

تأليف
أبي الحسن الششتري
(610هـ - 668هـ)

تلخيص
أبي عثمان بن ليون التجيبي
(681هـ - 750هـ)

تحت عنوان
"الإنالة العلميّة في الرّسالة العلميّة
في طريق المتجردين من الصّوفيّة"


حديث المفقود من حديث تميم الداري رضي الله عنه
قال صاحب الحديث رضي الله عنه فبينما رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالسا ذات يوم من ايام الدهر مع
علي بن ابي طالب رضي الله عنه إذ مر بهما تميم الداري
قال فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم فبكا بكاء

تقديم ودراسة تحقيق وتعليق
الأستاذ الدكتور محمد العدلوني الإدريسي



دار الثقافة
مؤسسة للنشر والتوزيع
الدار البيضاء

تصوّف الغرب الإسلامي

# الرّسالة الششتريّة

## أو

# الرّسالة العلميّة في التصوّف

تأليف

أبي الحسن الششتري

(610هـ - 668هـ)

تلخيص

أبي عثمان بن ليون التّجيبي

(681هـ - 750هـ)

تحت عنوان

"الإنالة العلميّة في الرّسالة العلميّة
في طريق المتجردين من الصّوفيّة"

تقديم ودراسة تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور محمد العدلوني الإدريسي



الكتــاب : الرسالة الشـشترية أو الرسالة العلمية في التصـوف
تأليــف : أبي الحسن الششتري
تحقيــق : الأستاذ الدكتور محمد العدلوني الإدريسي
الطبعـة : الأولى 2004
النـاشـر : دار الثقافة

الغـلاف : تصميم العدلوني الإدريسي م. طاهر
المطبعـة : النجاح الجديدة – الدار البيضاء
الإيـداع : القانوني رقم 2004/1136
ردمـك 9981-02-532-1

# الإهـــداء

إلى روح شهداء القدس الشريف



# مقدمة الكتاب

## الفصل الأول

## المؤلــف

### أولا ـ عصر الششتري التاريخي والفكري :

عاش الششتري جل أطوار حياته في كنف الدولة الموحدية، وعاصر ستة من خلفائها، هم : المنتصر (610هـ ـ 620هـ)، وعبد الواحد المخلوع (620هـ ـ 621هـ)، والمامون (627هـ ـ 629هـ)، والسعيد (640هـ ـ 646هـ)، والمرتضى (646هـ ـ 665هـ) وأبو دبوس آخر الخلفاء (665هـ ـ 667هـ). وتعتبر هذه الفترة من حكم هؤلاء الخلفاء الخمسة، فترة انحطاط، فقد فيها الموحدون هيبتهم وسيطرتهم على أقطار الغرب الإسلامي، لما عرفته هذه المرحلة من تاريخ الإسلام من أحداث سياسية واقتصادية وعسكرية، جسام : كان أهمها وأساسها، هزيمة الموحدين بحصن العقاب سنة 609 هـ ضد التحالف المسيحي[1].

---

(1) كان قائد الجيش الموحدي (المغربي ـ الأندلسي) الخليفة «محمد الناصر» (1199هـ ـ 1214م). وكان الجيش المعادي مكوناً من الأورغانيين والنافاريين البرتغاليِّين، الفرسان الصليبيين الفرنسيين، بقيادة «الفونسو الثامن» ملك قشتالة. أنظر : كتاب نفح الطيب للمقري ج 2 ص 696.

بعد هزيمة العقاب هبت على بلاد الأندلس موجة عاتية من الغزو الصليبي، جعلت ولايات البلاد الشرقية والوسطى تسقط اتباعاً، ولم يبق بيد المسلمين منها سوى بضع ولايات صغيرة في الطرف الجنوبي من الأندلس[1]. وبدأ الولاة يستقلون بما كان تحت إمرتهم من ولايات : الحفصيون بإفريقية (تونس) سنة 636هـ، وبنو عبد الواد بالمغرب الأوسط (الجزائر) سنة 633هـ. أما ما تبقى من الأندلس الصريعة، فقد تمزقت أطرافها بين جماعات، ودخلت عصرها الطائفي الثاني[2].

أما الأوضاع بالمغرب الأقصى مركز الخلافة، فإنها بعد الهزيمة كانت غاية في الاضطراب، حيث انتشر في البلاد عدد من الدعاة المطالبين بالخلافة[3]، كما اشتعل فتيل الفتنة بين سكان الجبال والبوادي، وفشلت السلطة المركزية، لضعفها، في ردعها وكبح جماحها وتطلعها إلى التخلص من الحكم الموحدي. وقد زاد في تأزم الأوضاع السياسية بروز قبائل بني مرين على مسرح الأحداث إذ بدأت شوكتها تقوى وتعظم بفضل تحركها في البلاد ناشرة الرعب، بفعل السلب والنهب والقتل، بكل المناطق : حضرية كانت أو بدوية، هدفها الموجه هو إضعاف دولة الموحدين، وامتدت محاولاتها من سنة 613هـ إلى سنة 668هـ التي تَمَّ فيها القضاء على آخر خلفائهم بمراكش «أحمد بن دبوس».

---

(1) محمد عبد الله عنان : «نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصر» ط 2 القاهرة 1966 ص 20 - 21 .

(2) قامت طوائف كثيرة بالأندلس وكانت السمة الطاغية على العلاقات بينها هي التآمر والعراك من أجل البقاء، وخاصة ذلك الذي احتدم سنة 630هـ بين ابن الأحمر (629هـ - 897هـ) وابن هود (620هـ - 668هـ).

(3) مثل : ولد العيدي المحروق بفاس سنة 610هـ، ومجموعة من الثائرين بالسوس وصنهاجة. أنظر : المعجب، ص 466 .

ومما ساهم في هذه الوضعية المتدهورة الأزمة الاقتصادية الخانقة التي عرفتها البلاد، حيث تعطلت وسائل التجارة والصناعة[1] وتردت أحوال السكان المعيشية[2] وكان القحط يقترن بوقوع المجاعات والوباء[3].

كل تلك الأحداث الجسام التي ضربت هذه الحضارة وزعزعت أركانها ؛ من ضغط مسيحي على الثغور الأندلسية والشمال الإفريقي، وغياب الأمن وانتشار الفقر والجوع والخوف، عملت على واجهتين : انطواء الناس وانزواؤهم، وهجرتهم الجماعية إلى بلدان المغرب الكبير والمشرق بحثا عن زمان ومكان آمنين.

وإذا ما رجعنا إلى فكر هذا العصر، فإننا يمكن القول أن تلك النهضة التي عرفها العصر الموحدي الزاهر، ما كانت لتنطفيء وبسرعة رغم الضعف العام الذي أصاب أجهزة الدولة وسياستها والاضطراب والفوضى التي عمت المجتمع بكل طبقاته، إلا أنه أصابها خفوت واضمحلال في الكثير من جوانبها العلمية، ويمكن إرجاع ذلك إلى التراجع والتماوج وعدم الاستقرار والهجرة المستمرة للعقول والشخصيات العلمية والأدبية المرموقة خاصة بالأندلس، بعد سقوط

---

(1) إن النهضة التي عرفتها الحركة الاقتصادية في العصر الموحدي الذهبي وخاصة بين خلافة «أبي يعقوب يوسف» (558هـ - 580هـ) وخلافة «محمد الناصر» (595 - 610) في ميادين الصناعة والتجارة والفلاحة وكذلك التعدين، ما كانت لتدوم بعدما أصاب السلطة المركزية من ضعف.

(2) يذكر «ابن أبي زرع» في كتابه «روضة القرطاس» ص ص 273 - 274 ، 276 ما أصاب الأمة بالمغرب والأندلس من غلاء شديد بيع فيه قفيز القمح بخمسة عشر ديناراً ليرتفع سنة 630هـ إلى ثمانين ديناراً، بينما ثمن الصحفة الواحدة، في أيام الرخاء، هو ستة دراهم.

(3) محمد عبد الله عنان «عصر المرابطين والموحدين» ط 1، القاهرة 1964م ص 627.

قرطبة عاصمة الخلافة الموحدية وأعظم مراكز التفكير في يد الإسبان القشتاليين، ما بين سنة 633هـ و641هـ، حيث غادرها العلماء والمفكرون إلى مرسية، كما كانت الهجرة بشكل مكثف إلى تونس وبجاية ومراكش وباقي الحواضر الإسلامية.

لا شك أن هذه العوامل ستؤثر بشكل فعّال في الحياة الفكرية المغربية عامة والأندلسية خاصة، فقد بدأت سلطة الفقهاء تظهر وتعم وروح التزمت تطغى وجذوة الفكر العلمي تنطفيء، وصار أكثر العلماء يتجهون إلى العلوم الدينية، بينما لم تحظ العلوم الدنيوية المحضة إلا بالقليل من العناية[1]، فقلّ رواد الطب والفلك والنبات، وانحدر ذلك المستوى الذي عرفت عليه العلوم مع «ابن زهر»، و«ابن طفيل»، و«ابن رشد».

أما الفلسفة، فقد عرفت تحت تأثير الفقهاء إهمالا كبيرا في المغرب وحتي في الأندلس التي جبل أهلها علي حرية التفكير والرأي، وتحت نفس التأثير حُرِّمَ الاشتغال بالحكمة وكفر المشتغلون بها، وما أصاب «ابن رشد» وتلامذته وزملاءه من محن لدليل على ذلك[2]، فكثرت الفتاوى التي تشنع بالفلسفة وبتعاطيها وتُؤَلِّبُ رأي العامة

(1) أنظر تفصيل ذلك في كتاب «عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس نفس المعطيات ص 648 وما يليها.

(2) عن محنة أبي الوليد بن رشد أنظر كتاب «المعجب» عبد الواحد المراكشي، تحقيق محمود حقي ص 435 - 436 - 437. ومن أهم تلامذة ابن رشد الذين أصيبوا بنار حقد الفقهاء : 1- أبو جعفر الذهبي، 2- أبو العباس الحافظ الشاعر، 3- الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المهري الأصولي، 4- أبو الربيع الكفيف.

والخلفاء على متعاطيها[1]. هذا بالإضافة إلى مقاومة الأدباء والشعراء للفلسفة وعلومها حيث ألفوا في ذلك القصائد الطوال لذمها[2]. كما كتبت المؤلفات العديدة في تحذير الناس من بعض أصناف الفلسفة والفلاسفة والدعوة إلي هجرانها والتمسك بالكتاب والسنة[3].

وهكذا كسدت سوق الدراسات العقلية، وإن بقي شيء منها، ففي بلاطات الأمراء، إذ كانت تمارس بشكل سري، ومن وراء رقابة الفقهاء ورجال الدين عموما.

ـ أما التصوف فقد كان حظه أحسن من زميلته الفلسفة حيث كثرت المدارس والطرق الصوفية، التي يمكن تصنيفها رغم عددها الضخم إلى ثلاث فئات :

1 ـ التصوف السني : وهو تصوف ملتزم بآداب الشرع ويرفض كل نزعة فلسفية واعتزالية أو شيعية أو شعبية ـ على الأقل في الظاهر ـ وهو تصوف كان موافقا لإديولوجيا الحاكمين بالغرب الإسلامي.

---

(1) أنظر منشور الخليفة يعقوب المنصور الموحدي الذي أمر فيه باحراق كتب الفلسفة.
أ ـ «الذيل والتكملة» عبد المالك المراكشي : ترجمة ابن رشد ص 6 ـ 21 .
ب ـ «قصة النزاع بين الدين والفلسفة» توفيق الطويل، القاهرة 1958، ص 1179.

(2) أنظر مثلا : القصيدة التي نظمها «ابن حبوس» في ذم الفلسفة ومن يشتغل بها، «الاعلام» ج 3 ص 28 ـ 29 :

الدين دين الله لم يعبأ     بمبتدع ولم يحفل بضلة ملحد
قالوا بنور العقل يدرك عما وراء     الغيب قلب قدي من الدعوى قد

(3) أنظر كنمودج لتلك الكتابات : خطبة «لأبي حفص الأغماتي» ضمن رحلة العبدري..، كتاب العلوم والآداب والفنون، «المنوني» ص 207 .

2ـ التيار الصوفي ذو النزعة الفلسفية : وهو تصوف تأثر عبر نشأته وتطوره بالكثير من الآراء والأفكار والمعتقدات الإعتزالية والشيعية والغنوصية والأفلاطونية المحدثة.

3ـ التصوف الشعبي الطرقي : وهو الذي أصبح ضمنه التصوف سلوكا جماعيا له نظم وقواعد ورسوم خاصة، كما له شيخ يعرف بالشيخ المؤسس وظيفته الأساسية تربوية تعليمية.

ومما ميز تصوف عصر الششتري الخصائص التالية :

1) أن أكثر متصوفة القرن السابع الهجري عرفوا بتضلعهم في العلوم الدينية من فقه وحديث وكلام، كما تميز بعضهم بالتعاطي للفلسفة بالإضافة إلى العلوم الشرعية والفنون الأدبية خاصة الشعر : قصيداً أو موشحاً أو زجلاً.

2) أن هذا العصر عرف كذلك بالصراع الذي طبع العلاقة بين الصوفية عامة والصوفية ذوي النزعة الفلسفية خاصة وبين الفقهاء، هذا الصراع الذي لم يكن جديداً ولا وليد هذه الظروف وحسب، بل كان السمة التي ميزت نشأة الفكر الصوفي وتطوره في الغرب الإسلامي، تعرض خلاله الصوفية لأذى الفقهاء المستمر والممنهج.

3) أن الغرب الإسلامي عامة والأندلس خاصة، أصبح في النصف الثاني من هذا القرن (7 هـ)، مصدر الإشعاع الصوفي خاصة منه «العرفاني»، الذي طبع بطابع العلوم والأبحاث الفلسفية، حيث تمت هجرة كثير من المتصوفة إلى مصر والشام (دمشق) والحجاز (مكة والمدينة) ومناطق أخرى كثيرة من آسيا الصغرى والكبرى، فنشرت

مذاهبها وكونت أنصاراً وأعداءاً، ومن أهم من هاجر : «ابن عربي» و«ابن سبعين» و«الششتري».

4) ويعتبر هذا العصر كذلك عصر التفاعل بين المشرق والمغرب، فهناك من الطرق الصوفية (الشعبية خاصة) ما لم يكن مهما ولا مشتهرا، انطلق أصحابها من المغرب والأندلس إلى المشرق «كأبي الحسن الشاذلي» (الشاذلية) و«أحمد البدوي» (البدوية) و«أحمد الرفاعي» (الرفاعية)، وبعد شهرتهم انقلبت طرقهم إلى المغرب[1] فأصبح لهم أتباع ومريدون وطوائف.

## ثانيا ـ حياته وآثاره :

### 1 ـ حياة الششتري الزمانية والفكرية

ـ الششتري هو : علي بن عبد الله النميري ويكنى بأبي الحسن. النميري نسبة إلى نمير، بطن من بطون هوازن العربية، والششتري نسبه إلى القرية التي ولد بها وهي من عمل وادي آش، حيث أن زقاق الششتري معلوم بها حسبما يذكر المقري[2]. كما يدعى باللوشي نسبة إلى قرية Loja التي قضى بها الششتري بعضا من طفولته[3].

---

(1) أنظر : Voir : Lx Paul nwia : Ibn abbad de Ronda
عن مجلة : بحوث ودراسات معهد الآداب الشرقية، مقدمة البحث بالفرنسية، حيث يذكر نويًا، أن الشاذلي الذي لم يكن معروفا بعد اشتهاره بمصر، دخلت طريقته المغرب، علي يد تلميذه «ابن عباد الرندي» (733هـ ـ 792هـ)، خاصة ضمن مؤلفاته : «لطائف المنن» في ترجمة الشاذلي ومناقبه وتلميذه المرسي،، وكتابه «التنوير في اسقاط التدبير»، وكتاب «الحكم العطائية».

(2) نفح الطيب ج 2 ، ص 185 .

(3) Voir L. Massignon : recherches sur shushtari Poète andalous : in Melanges W. M. Paris Cie. 950, p. 253.

ـ تربى أبو الحسن في أسرة كانت على ما يبدو ذات جاه وسلطة في المنطقة المذكورة، حيث يروى أن أباه كان من الأمراء حكام الأقاليم، ولهذا عُدَّ «من الأمراء أولاد الأمراء»[1].

ـ تاريخ ولادة الششتري تحدد حوالي سنة 610هـ / 2121م، أي أوائل القرن السابع الهجري، وتمتد حياته إلى أواخر عصر الموحدين، أي أنه عاصر أهم الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية للمرحلة، وعاشها وتأثر بها وأثر فيها. ويمكن تلخيص مراحل حياته في ثلاث حقب هي :

أ ـ حقبة تمتد من 610هـ إلى 646هـ، قضاها بموطنه الأصلي الأندلس عاش فيها حياة مترفة كأقرانه من أبناء الطبقة الحاكمة، وتلقي خلالها تعليما وتربية عالية، واكتسب الأذواق الأدبية والأخلاقية الأكثر تهذيبا[2].

وقد شغف في هذه المرحلة كثيرا بابن قزمان أحد أهم الشعراء الأندلسيين الذين أبدعوا الزجل، كما حصل علوم الحديث والفقه وأصول الفقه واللغة والإعجاز[3].

وفي آخر هذه المرحلة، عندما كانت سنه تناهز الثلاثين، امتهن التجارة وصار يجُول البلاد شرقا وغربا ويتعرف على أحوال أهلها. وَلِمَا كان يتميز به من حِسٍّ مرهف وعاطفة جياشة، كان تأثره عميقا

---

(1) ابن ليون التجيبي : الرسالة العلمية ص 3 .

L. Massignon : Ibid P. 214 (2)

(3) أنظر كتاب : «لسان الميزان» لابن حجر ج 4 ص 240 ، حيث يرى أن الششتري بدأ دراسته لاعجاز القرآن بعد قطعه مع ابن سبعين شيخه في العلوم الصوفية الفلسفية.

وإحساسه بالحسرة والخيبة عظيما لما لاحظه من تردي أوضاع الناس الأمنية والأخلاقية والاقتصادية بعد هزيمة العقاب. وهذا ما جعل حياته تنقلب رأسا على عقب، فترك الجاه والمال وكل مظاهر الحياة، وبدأ في البحث عن هدف آخر خارجهما ليحقق لنفسه القلقة الطمأنينة. فترك الأوطان حوالي سنة 644 هـ، وهام على وجهه في بلاد الله باحثا عن الحقيقة، حقيقة تطمئن لها نفسه الولهانة.

وكانت أول رحلاته هي التي كانت للمغرب الأقصي وبالضبط إلى مدينتي مكناس وفاس بحثا عن علم يؤهلّه لترك الدنيا ويقربه من الحقيقة[1].

ثم رحل إلى مدينة بجاية بالمغرب الأوسط، حيث سيستمر في هيامه وبحثه عن الحقيقة واليقين محاولا اقتباس الأنوار من كل نبراس علم، وأول طريق صوفي نهجه ومثل مرحلة روحية أولى في معراجه الصوفي، طريقة السهروردي مع أحد روادها القاضي مُحْيِ الدين بن سراقة وهو طريق سني معتدل، وباعتناقه لتعاليم هذه المدرسة بدأت نفسه تطمئن قليلا، وبدأ يحس ببعض الاستقرار واليقين الروحيين[2]. لكنه بعد ذلك خرج من بجاية واتجه إلى بلدة قابس وطرابلس، ولمعرفته الواسعة بالفقه والسنة، تكونت حوله حلقة من المريدين وعرض عليه أهلها القضاء فرفضه، فنسبوه إلى الجنوب[3].

---

(1) يذكر الششتري هذه الرحلة في قوله :

شويخ من أرض مكناس ... في وسط الأسواق يغني
أشْ علي من الناس ... واش على الناس منّي
هكذا عشت في فاس ... وكذا هان هوني (الديوان ص 273)

(2) أنظر كتاب «نفح الطيب» للمقري ج 2 ص 185 .

(3) وقد عبر عن هذه الحادثة بقوله : (ديوان أبي الحسن الششتري ص 77)

رضي المتيم في الهوى بجنونه ... خلوه يفنى عمره بفنونه
لا تعذلوه فليس ينفع عذلكم ... ليس السلو عن الهوى من دونه

وبعد هذه الحادثة عاوده الحنين إلى بجاية فرجع إليها لينخرط هذه المرة في المَدْيَنِيَّة، حلقة أتباع أبي مدين الغوث الصوفية، وتصوف أبي مدين كان مذهبا خاصاً يجمع بين التصوف السني والتصوف الفلسفي. ومن الإشارات المعبرة عن شغف الششتري بهذه الطريقة قوله[1] :

| | |
|---|---|
| يـا مـريـديـن | اتبعـوا الحقيقـة |
| واسـتـمسكـوا | بالعـروة الوثيقـة |
| وقـولـوا كـف | قال شيخ الطريقة |
| سـي بـومـدين | الله يرضـى عنه |
| مـلـك قلبـي | مـن أنـا بعينـو |

ومن تأثر الششتري البالغ بأبي مدين في هذه المرحلة، أنه كان ينشد مقطعات الشعر في الحب الإلهي علي شاكلته، أسلوبا ومعاني. كما أنه اتبع تعاليم مدرسة أبي مدين في اتجاهها الصوفي النظري الفلسفي مع أهم ممثليها «محيي الدين بن عربي» والقائلة بالوحدة الوجودية، والذي يمكن ملاحظة أفكارها خاصة في القسم الأول من ديوانه، مثل نظرية الخيال والتي عبر عنها بقوله[2] :

| | |
|---|---|
| عـد عـن الـوهـم والـخيال | واستـعـمل الفكـر والنظر |
| مـا الـنـاس إلا كـمـا الـخيـال | فـانـظر إلى ماسك الصور |

---

(1) الديوان : ص 257 - 258، الشعر زجل لهجة أندلسية.
(2)

ومثل الفكرة القائلة بالخلق دون ابتداع، وقدم الحقيقة المحمدية، والذي عبر عنها في قوله[1] :

بـــدا لـــه قـــبـــل أن أداره وأول السعـــد فـي الصعود
من يرقى من سافل لعالي يعايـــن العيـــن فـــي الأثر

وقوله[2] :

هوا هوا محمـــد الأعـــلا
هـــو أول وآخـــر يتـــلا

وفكرة الخلق الجديد والفيض التي قال فيها [3] :

الفلـــك بـيـك يـــــدور ويـضـــــيء ويـلـمـــــع
والشمـــوس والبـــدور فيـــك تـغـيـب وتـطـلـع
فـاقـــر مـعـنـى السطـــور الـتـــي فيـــك واجـمـــع

وقوله[3] :

أنـــا مـــن فيـض ساداتـــي نلـــت أعلـــى الـــرتـــب

وقوله[4] :

كـــــل شـــــيء يـذكـــار فـــي صـفـاتـك مـجـمـــوع

---

(1) الديوان، ص 143 .
(2) الديوان، ص 160، الشعر موشح لهجته فصحى مع مظاهر أندلسية
الديوان : ص 165، شعر لغته فصحى مختلطة باللهجة الأندلسية
(3) الديوان : ص 320 .
(4) الديوان : ص 153 .

ب ـ الحقبة الثانية من حياة الششتري وتبتدئ حوالي 646هـ حين التقى بابن سبعين في بجاية وافتتن به وأصبح من أتباعه المخلصين، وابن سبعين يعد رأس اتجاه متطرف في التصوف المتأخر بالغرب الإسلامي، اتجاه يقول بالوحدة المطلقة بين الحق والخلق، تعدى اتجاه ابن عربي بإمعانه في القول بالوحدة[1].

اعتنق الششتري هذا الاتجاه بعد أن اعتمد على ما لابن سبعين من علم في الفلسفة وعلم التصوف (علم التحقيق) وأصبحت أشعاره تعكس ذلك بكل وضوح. فهو يقول مثلا عن علاقته بشيخه الجديد[2] :

أنا عبد بن سبعين ... ما دامت السبع في العدد
مع أن ليس نحتج أهنا تبيين ... يا قد فهم عني كل أحد

ومن أهم أشعاره المعبرة عن تأثره بمذهب الوحدة المطلقة والتي تري ألا وجود إلا الله، وأن لا وجود لله إلا في قلب المتصوف العارف بالوحدة[3] :

قلبي قد عشق لقلبي ... وهوت ذاتي ذاتي
وتجلت لي الحقيقة ... بنعوتي وصفاتي
وكلما ناديت الأكوان ... جاوبتني بلغاتي

---

(1) يحكي لنا صاحب كتاب «نفح الطيب» حكاية ذلك اللقاء، أن ابن سبعين لما عرف أن الششتري يريد لقاء المشايخ، أي الذهاب إلى أصحاب أبي مدين، صاح فيه قائلا : «إن كنت تريد الجنة فسر إلى أبي مدين، وإن كنت تريد رب الجنة فهلم إلي». نفح الطيب ج 2 ص 185. انظر حول فلسفة ابن عربي الصوفية : محمد العدلوني الإدريسي. دار الثقافة، البيضاء 1998. وكذلك نفس المؤلف في كتابه : فلسفة الوحدة في تصوف ابن سبعين، نفس الدار.

(2) الديوان : ص 231، الشعر زجل أقرب إلى الفصحى مع مظاهر أندلسية.

(3) الديوان : ص 315 .

ج ـ الحقبة الثالثة : هي التي عاشها بمصر والتقى فيها بأقطاب الطريقة الشاذلية تلامذة أبي الحسن الشاذلي وتعرف على مذهبهم وتأثر به تأثرا عظيما، كما كان يكن لهم محبة وتقديراً كبيرين، حتى أنه اعتبر فيما بعد شاذليا واحتل مكانا في سند الطريقة الشاذلية[1] ولعل هذا ما يظهر من الزجل التالي [2] :

| | |
|---|---|
| لا تلــمنــي يـا عــذول | إنـي أهــوى الـجـمـال |
| دعونـــي أمــدح مـا أقول | الشاذلي شيخ الكمـال |
| " | " |
| شيــخ الطريقــة المغربي | سيــدي قاسم مـن سلك |
| أفـديـه مَـوْلَــيْ بـأبـــي | الـمـالكيـن ومــن ملــك |

والتصوف الشاذلي كما هو معلوم سني معتدل قريب من تصوف الغزالي المقيد نسبيا بالقرآن والسنة[3].

وفي انتماء الششتري لهذا التصوف لاشك أنه تراجع عن القناعات الصوفية الفلسفية وتخلي عن الأفكار المفعمة بالوحدة الوجودية المطلقة.

و يتجلي هذا التحول فيما كتبه من موشحات وأزجال خاصة تلك التي كتبت من طرف نساخ شاذليين، والصبغة التي تطغى عليها دينية

---

(1) أنظر مقدمة ديوان الششتري ص 11 .

(2) الديوان : ص 442 .

(3) تتلخص تعاليم الشاذلية في أصول خمسة وهي : تقوي الله في العلانية، اتباع السنة في الأقوال والأفعال، الاعراض عن الخلق في السر والاقبال والادبار، الرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلي الله في السراء والضراء. أنظر كتاب : ابن عطاء الله الاسكندري وتصوفه، ط 2، مكتبة الأنجلو القاهرة 1969 ص 59 .

تقليدية واتجاه روحي إلى النبي محمد والفناء في روحه، حيث تقل فيها الإشارة إلى مذهب وحدة الوجود[1]. وفيها يقول[2] :

إن شـــئت أن تقـرب قــرب الــوصـــال
هـم في هـوى المحبوب ولا تــبـــالــــي
إن شــئت أن ترقــى فـخلـــي الأكـــوان
أفــنــى وزد عـشـقـــا يـكــــون لــك الشــأن

ويقول[3] :

يـــا ســـروري بطيبة حيــن نـراهـا نـطيب
ونـشـاهــد بعينــي لـربــوع الحبيــب
ونقــول عنـد قبــره يــا سـامع يـا مجيب

وفاة الششتري :

استقر الششتري في السنوات الأخيرة من حياته بمصر وكون طريقة صوفية خاصة به عرفت بالششترية، أفرغ فيها أهم تجاربه الروحية، واجتمع حوله كثير من المريدين واتخذوه شيخا وحيدا وفضلوهُ عن أستاذه ابن سبعين.

(1) أنظر مقال عن الششتري، مجلة المعهد المصري عدد 1 مدريد 1953 ص 158, حيث يرى د. النشار أن الششتري حتى بعد غرقه في بحر وحدة الوجود المطلقة ستبقى بصمات التصوف السني المديني واضحة الأثر عليه وسترغمه على التخلي عن عقيدة وحدة الوجود.

(2) الديوان : ص 410 .

(3) الديوان : ص 415 .

توفي الششتري يوم 07 من سفر الخير سنة 668 هـ موافق 06 أكتوبر سنة 1269 م بشهور قليلة بعد موت شيخه ابن سبعين، وذلك عند ما وصل إلى ساحل دمياط بعد سياحة كان يقوم بها مع مريديه من الفقراء المتجردين الذين بلغوا الأربعمائة رجل، وحين حل بمكان يُدْعَى الطينة مرض مرضه الذي توفي منه، فقال : «حنت الطينة إلى الطينة» وأوصى بأن يدفن بمقبرة دمياط أقرب المدن إلى الطينة، فحمله الفقراء على أعناقهم[1].

### 2 ـ أساتذته، تلامذته، وآثاره

#### أ ـ أساتذة الششتري :

لقد كان الششتري على درجة كبيرة من المعارف والعلوم، واسع الاطلاع على التيارات الفكرية التي كانت تمثل العلم والثقافة في عصره، وبذلك تعددت مصادر ثقافته وكثُرَ أساتذتهُ المباشرون وغير المباشرين. ومن أساتذته وشيوخه الذين اقتدى بهم وأفاد منهم، ما ورد في قصيدته الشهيرة «النونية»[2] التي أشار فيها إشارات قصيرة، ولكنها دقيقة لأسمائهم.

---

(1) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ج 4 ص 215 – 216 .

(2) مطلع هذه القصيدة :

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى بفكر رمي سهما فعدي به عدنا

أنظر : ديوان الششتري ص 72 وما يليها، وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ص 210 ـ 211، وقد قام بشرحها الشيخ زروق، مخطوط مكتبة الأسكريال باسبانيا رقم 40186، وكذلك شرحها أبو العباس بن عجيبة مخطوط الخزانة العامة الرباط رقم 1736/8 د.

فمن أساتذته المباشرين يذكر :

ـ عبد الحق بن سبعين الغافقي (614هـ ـ 668هـ)، من مؤلفاته : «بد العارف»، ورسائله المشهورة، مثل «الإحاطة»، «الحروف»، «حزب الفرج»، «رسالة العهد»، «شرح سفر إدريس» وغيرها[1].

ـ ابن سراقة محمد أبو بكر الشاطبي (592هـ ـ 662هـ)، من كتبه : «أدب الشهود في التصوف»، «اعجاز القرآن في الحيل الشرعية»، «كتاب الأعداد والحساب»، «ما لا ينبغي المكلف جهله».

ومن أساتذته غير المباشرين يذكر :

ـ أبو مدين الغوث (تـ سنة 601هـ)، الذي يمكن استخلاص تعاليمه الصوفية من البيت الشعري التالي :

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كان مرتادا بصدق مراد[2]

ـ محيي الدين بن عربي : (توفي سنة 560هـ)، من أهم مؤلفاته : «الفتوحات المكية»، «فصوص الحكم»، وديوانه الشعري «ترحمان الأشواق».

ـ شهاب الدين السهروردي (توفي سنة 588هـ)، من أهم كتبه : «هياكل النور»، «حكمة الإشراق».

ـ ابن الفارض (توفي سنة 632هـ) صاحب التائية الكبرى في الحب الإلهي.

(1) انظر : كتابنا : فلسفة الوحدة في تصوف ابن سبعين، دار الثقافة ط 1، 1998.
(2) ورد البيت ضمن قصيدة كتاب : «أبو مدين»، تأليف عبد الحليم محمود بيروت دون تاريخ ص 112 وما يليها.

ـ كما يذكر الحلاج (توفي سنة 309هـ)، والشبلي (توفي سنة 334هـ) والنوفزي (توفي سنة 354هـ)، وقضيب البان (توفي سنة 573هـ) وابن مسرة الجبلي (تـ 317هـ)، وابن قسي (تـ 546)، والشوذي الحلوي (تـ ؟).

ـ ويذكر كذلك ابن برجان (تـ 538هـ) وأثر كتابه «تفسير القرآن» وابن سينا (تـ 428هـ)، والغزالي (تـ 505 هـ)، وابن طفيل (تـ 581هـ) وابن رشد (تـ 595هـ). كما ذكر هرمس[1]، وسقراط وأفلاطون وأرسطو، وغيرهم.

**ب ـ تلامذته :**

لا يذكر التاريخ من بين تلامذة الششتري المباشرين الذين خلفوه على مشيخة الجماعة، سوى تلميذه : «**أحمد يعقوب بن مبشر**» زاهد باب زويلة بالقاهرة، والذي لا نعلم شيئا عن تاريخ حياته، ولا عما أخذه عن شيخه[2]، أو الطريقة التي أدار بها المدرسة من بعده.

أما تلامذته غير الزمنيين فهم كثر، ومن أقربهم إليه نجد «**أبو عثمان ابن ليون التُّجيبي**» (681هـ ـ 750هـ)، الذي اهتم بتصوفه وخاصة طريقته الأخلاقية السلوكية، كما أنه هو أول من ترجم له وقام بتلخيص

(1) «هرمس» هو الذي يعتقد أنه «ادريس» النبي أو «أخنوخ» وشخصيته مختلف فيها، فهو عند المسلمين مؤسس للعلوم والفلسفة، خصوصا الطب والكمياء، والفلك والتنجيم. ويرد ذكره كثيرا في المصادر الإسلامية مثل : الملل والنحل والفهرست لابن النديم. والفلسفة الهرمسية فلسفة لعبت دورا هاما في العصر الهليني المتأخر بالإسكندرية. وقد ذكر «ذ. نجيب بلدي» في كتابه : تمهيد لتاريخ مدرسة الاسكندرية، دار المعارف 1962، ص 179 : «إن هذه الفلسفة تعتبر مزيجا من الأفلاطونية والحكمة المشرقية المصرية وبعض الأساطير اليونانية».

(2) Voir L. Massignon : Recherches sur Shushtari... In Melanges W. M. Paris Cie 950, P. 261.

وتهذيب واحد من أهم كتبه «الرسالة العلمية». من مؤلفاته : حزبه المسمى : «إبرام الديم» و«في المواعظ والحكم».

كذلك نجد له تلاميذ غير مباشرين اهتموا بطريقته الصوفية وبمنهجه في معالجة قضاياها وأسلوبه في التعبير عنها، مثل : «**لسان الدين بن الخطيب**» (تـ 776هـ)، الذي كان كالششتري، يعبر عن آرائه الصوفية بأسلوب النظم قصيدا كان أو موشحاً أو زجلا[1].

ويعتبر «**ابن عباد الرندي**» (تـ 790هـ)، أكثر المتصوفة المغاربة، من ذوي الاتجاه السني المعتدل، تأثرا بآراء الششتري، خاصة منها الصوفية الزهدية والصوفية السلوكية عامة، دون آرائه في وحدة الوجود، وأنشد الكثير من قصائده على منوال قصائد الششتري الخمرية خاصة[2].

أما «**عبد الغني النبلسي**» (تـ 1143هـ) فقد اهتم اهتماما كبيرا بطريقة الششتري الرمزية في التعبير عن مواجده الذوقية، وكتب رسالة هي : «رسالة رد المفتري في الطعن على الششتري»، قام فيها بشرح قصيدة الششتري الخمرية[3] وتأويل معانيها وتلمسه رموزا عرفانية لها، حتى يرد عنه اتهام الفقهاء بالمروق عن الدين. كما أنه كتب رسالة «إيضاح المقصود في معنى وحدة الوجود» للدفاع عن القائلين بوحدة الوجود، ومنهم الششتري، ضد كل الذين أنكروها[4].

---

(1) ابن خلدون، كتاب المقدمة، دار الفكر دون تاريخ، ص 548 .

(2) أنظر كتاب «ابن عباد الرندي» د. التفتزاني، مجلة الأندلس، مدريد، مجلد 6، سنة 1958، ص 240 .

(3) أنظر القصيدة بديوان الششتري ص 59 - 63 والتي مطلعها :

تـأدب بباب الديـر واخلـع النعـلا ... وسلم على الرهبان واحطط بهم رحلا

(4) أنظر نص الرسالة بمجلة «المشرق» نشر «عبد خليفة اليسوعي» مجلة المشرق ص 306 وما يليها.

ومن الذين تأثروا بالششتري واشتغلوا على نصوصه الشعرية الصوفية «**ابن عجيبة الحسني**» (تـ 1311هـ)، الذي حلل بعضا منها وعلق عليها، سواء في كتابه «إيقاظ الهمم» أو «الفتوحات الإلهية»، أو شرحه للقصيدة النونية المشهورة[1].

ويبقى «**محمد الحراق**» (تـ 1845م) أهم من تأثر من الصوفية المحدثين بالششتري، واعتبر تلميذا غير زمني له، وذلك للتشابه الكبير بين الرجلين في أسلوب ومضمون توشيحاتهما وأزجالهما، وخاصة في موضوع الحب الإلهي[2].

**د ـ آثار ومؤلفات الششتري :**

خلف الششتري آثارا فكرية صوفية لا يستهان بها، شعرية ونثرية، منها ما هو موجود وله نسخة أو عدة نسخ، ومنها ما هو في حكم المفقود.

**1 ـ مؤلفاته الموجودة :**

أ ـ مؤلفاته الشعرية : للشتري ثروة شعرية هائلة عرفت انتشارا كبيرا في العالم الإسلامي شرقا وغربا، وتوجد عدة نسخ مخطوطة في المكتبات العالمية من ديوانه الذي يضم بين دفتيه جل ما نظمه شعرا عموديا أو موشحا وزجلا. وديوان الششتري في حقيقته ديوانان،

---

(1) شرح النونية، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم د 1736/8 . D

(2) أنظر ترجمة الحراق الكاملة وبعض من أخباره، بكتاب «النور البراق في ترجمة الشيخ الحراق»، تطوان 1368هـ ط 1 وهي مأخوذة من كتاب تاريخ تطوان المجلد 6 تأليف ذ. داود. وعن تصوفه أنظر كتاب «إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرن 19/18 «د. عبد المجيد الصغير» ط 1 المغرب 1988م.

أحدهما كبير والآخر صغير، الأول خُصص للأشعار المطولة وتضمن مذهب الششتري الصوفي الفلسفي بقضاياه المختلفة الوجودية والمعرفية والأخلاقية السلوكية. والثاني احتوى المقطعات فقط ومضمونها يكاد يخلو من آثار نظراته الصوفية الفلسفية، وما يغلب عليها هو النفحة الدينية التقليدية في شكل أوراد وأذكار.

وأول تحقيق للديوان إلى حد الآن هو الذي قام به أستاذي المرحوم الدكتور «علي سامي النشار» والذي صدر بدار المعارف في مصر سنة 1960 م. ونحن عازمون إن شاء الله على إعادة نشره بدراسة وتحقيق جديدين.

**ب ـ مؤلفاته النثرية :**

ـ المقاليد الوجودية
ـ الرسالة العلمية : وهو الكتاب الذي نحققه
ـ الرسالة البغدادية

**أولا ـ المقاليد الوجودية :**

عنوانه الكامل : المقاليد الوجودية في الدائرة الوهمية، وهو مخطوط دار الكتب المصرية ضمن مجموعة رسائل ابن سبعين المكونة من حوالي خمسة عشر رسالة تقع في ستة وثلاثين ومائتين ورقة تمثل مخطوطة المقاليد الوجودية منها سبعة عشر ورقة، ويحمل رقم 149 تصوف ميكرو فيلم رقم 9986 وله نسخة أخرى رقم 2443 بنفس المكتبة.

ويقصد المؤلف «بالمقاليد الوجودية في الدائرة الوهمية» : مفاتيح الخزائن الذوقية لمعرفة الحقيقة المطلقة الوجودية. وهو عنوان إصطلاحي مركب من رموز ومصطلحات ومفاهيم خاصة لا يمكن الوقوف على دلالتها إلا في إطارها الكلي، إطار تصوف وحدة الوجود المطلقة.

في أول ورقة من المخطوط كتب : «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله. يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه علي بن عبد الله النميري ثم الششتري عفا الله عنه...»[1]

وفي آخر ورقة كتب : «والسلام على من أنكر وسلم أو صمت أو تكلم، ومع هذا لا يكون المنكر إلا الجاهل الغبي...»[2].

وموضوع المقاليد الوجودية، يدور حول تصوف وحدة الوجود على الطريقة الليسية التي اعتنق الششتري مبادئها الأساسية والتي تقوم على الفكرة البسيطة التالية : لا وجود إلا لله الوجود المطلق، وأن سر هذا الوجود المطلق من الممكن أن تدركه فيك لا خارجا عنك إذا ما اتبعت طريقا خاصا يدعى بالسفر، والسفر : «يطلق على مراتب النفس وهي تسعة وتسعون سفرة وبعدها المنوعات، والطريق»[3].

ومن القضايا الصّوفية التي عالجها الششتري في «المقاليد الوجودية» :

---

(1) مخطوط المقاليد الوجودية، ص : 416.
(2) مخطوط المقاليد الوجودية، ص : 416.
(3) مخطوط المقاليد الوجودية، ص : 433.

- قضية أصل الكمالات.
- قضية الولي والنبي.
- السمياء أو علم الأسماء والحروف وعلاقتها بتصوف وحدة الوجود.
- قضية الوحدة المحضة.

ويمكن اعتبار كتاب المقاليد الوجودية أول مؤلف خطه الششتري في التصوف قبل كتبه ورسائله الأخرى وذلك لغلبة آراء وأسلوب شيخه ابن سبعين على آرائه وأسلوبه، مما يبين أن الكتاب ألف في المرحلة الثانية من مراحل معراجه الصوفي، حين كان مرتبطاً بشيخه واعتماده كليّاً عليه، ومنهج الرسالة ومضمونها لخير دليل على ذلك. وسنقوم إن شاء الله قريبا بنشرها.

**ثانيا - الرسالة البغدادية :**

هذه الرسالة تدعى كذلك «الخرقة البغدادية»، وهي رسالة صغيرة، صفحاتها لا تتعدى العشرة من القطع المتوسط، لها نسخة مخطوطة واحدة ووحيدة بمكتبة الاسكوريال باسبانيا تحت رقم : (Arabe n° 763. F.F. 75 r. 79 v.) ولا يعرف لها حسب علمنا نسخة مخطوطة أخرى في العالم. وقد قامت بنشرها الباحثة الفرنسية «مري تريز أورفوى» في مجلة الدراسات الشرقية»[1].

ألف هذه الرسالة كما سيظهر من خلال بسط موضوعها من أجل الرد على اعتراضات فقهاء زمانه الذين يدعون أنهم على «جادة السنة

(1) Bulletin d'études orientales T. XXVVIII, Année 1975 Damas 1977, PP. 259-266.

وغيرهم على مخادع البدعة»[1] والدفاع عن طريقته، الطريقة الششترية، طريقة الفقراء المتجردين من الصوفية، والتأكيد على صدق واستقامة أتباعها وتقيدهم بالسنة في كل أمورهم.

وموضوع الرسالة البغدادية هو محاولة تأصيل لبس الخرقة أو المرقعة التي تميزت بها الجماعة الصوفية السبعينية ثم الششترية، ومجابهة الفقهاء المتزمتين بالأدلة النقلية، من قرآن، وسنة، وهدم رأيهم الداعي إلى أن لباس المرقعات وعباءات الشعر ليس من السنة في شيء، وأن المرقعة شهرة....[2]

**2 ـ مؤلفاته التي تعد في حكم المفقود :**

لقد أورد بعض من اهتم بالترجمة لحياة الششتري من مؤرخي الفكر الأندلسي كابن ليون التُّجيبي ملخص ومنقح الرسالة العلمية، التي نحن بصدد تحقيقها، ضمن ترجمته لصاحبها، والمقري التلمساني في كتابه «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب»، و«لسان الدين بن الخطيب» في كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة»، عناوين أخرى لمؤلفات الششتري لم يعثر إلى حد الآن على واحد منها، وهي :

- الرسالة القدسية.
- العروة الوثقى في بيان السنن وإحصاء العلوم.
- ما يجب على المسلم أن يعلمه ويعتقده إلى وفاته.
- المراتب الإيمانية والإسلامية والاحسانية.

---

(1) الرسالة البغدادية الخطوط ص 1 ومجلة الدراسات الشرقية ص 262.

(2) الرسالة البغدادية، المخطوط ص رقم 1 والمجلة رقم 262.

# الفصل الثاني

# الكتاب موضوع التحقيق، محتواه منهجية تأليفه، وقيمته التاريخية والعلمية

## أولا ـ الكتاب موضوع التحقيق :

هذا المؤلف لأبي الحسن الششتري عرف تحت عنوان : «الرسالة العلمية» وحسب معلوماتي ليس منه سوى نسخة مخطوطة واحدة بدار الكتب المصرية (رقم 265/3 تصوف، ص 608 إلى ص 695)، كتبت بخط مغربي رديء تصعب قراءته، وقد قام «ابن ليون التجيبي» باختصاره في كتاب أسماه «الرسالة العلمية في طريقة الفقراء المتجردين من الصوفية» وله عدة نسخ بالمكتبات ودور الكتب عبر العالم.

وقد صرح المصنف في مستهل الرسالة بالأسباب التي دعته إلى تأليفها قائلاً : «... لما رأيت انكار المباح على الفقراء المتجردين (...) ثم رأيت من ضرب لهم بسهم في محبتهم أو أقامه الله في خدمتهم ربما نقصهم وعنده من هو فيهم من المبغضين وأظهره الشيطان في زي الصالحين وهيئة الناسكين، فنطقوا فيهم بالزائد والناقص (...). أجليت ما خفي من أمورهم عن المتقدمين وأظهرت ما بنوا عليه مناهجهم من السنن كالصبح المبين، إذ هم أطوع الناس للسنة والكتاب، وأبعدهم من الخطأ، وأقربهم للصواب...»[1].

---

(1) الرسالة، ص 5 .

ومن الباحثين القدامى الذين أشاروا إلى كتاب «الرسالة العلمية» ضمن مؤلفات الششتري، نجد «اابن ليون التُّجيبي» في مقدمة تلخيصه لنفس الرسالة، والمقري التلمساني في الجزء الثاني من كتابه : «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب».

ومن الباحثين المعاصرين، نجد المستشرق الفرنسي «لويس ماسنيون» في دراسته «حول الششتري الشاعر الأندلسي المدفون بدمياط».

والباحث الإسلامي «الدكتور علي سامي النشار» في مقدمته لديوان «الششتري».

**ثانيا ـ محتوى الكتاب :**

**أ ـ أقسام الكتاب :**

حصر المؤلف القضايا التي قاربها بهذه الرسالة في عشرة علوم هي :

1 ـ علم في أصل طريقهم.
2 ـ علم في تجريدهم وظهورهم بالسنة ومكارم الأخلاق وظهور غيرهم بحليتهم وخفائهم عن الناس.
3 ـ علم في أصل الإنكار عليهم من أين نشأ.
4 ـ علم في الانفصال عما أنكر عليهم.
5 ـ علم في السماع ولواحقه.
6 ـ علم في علومهم وفي عبادتهم وأين هم من الصوفية.

7- علم في المشيخة والخدمة والتربية.
8- علم في آدابهم.
9- علم في توحيدهم.
10- علم في الألفاظ الدائرة بينهم.

**ب- مضمون الكتاب :**

في **العلم الأول** قام المؤلف بالتعريف بطريقته، طريقة المتصوفة أو الفقراء المتجردين، وهي كما يرى طريقة ملتزمة بالسنة، لوراثتها أهل الصفة في زهدها وسلوكها المتقشف في الحياة والجلوس في المساجد والربط والتجرد وقلة التسبب، والتوشح بالفقر في الملبس والمشرب والمأكل. ثم أورد نصوصاً من القرآن والسنة لتدعيم أطروحته مبرزا القيمة الدينية والروحية العظمي التي كانت لأهل الصُّفة، حتى أن النبي ﷺ كان يدعو ربه بأن : يحييه مسكينا ويمته مسكينا ويحشره في زمرة المساكين.

في **العلم الثاني** عالج المؤلف مسألة تجرد الفقراء الصوفية والمقصود الصوفي منها، إذ التجرد جملة كما يرى : هو قطع العلائق والتقليل من إدخار المال والاكثار من إيثار الغير على الأنا، والتحلي بمكارم الأخلاق، والتجريد عن الأوصاف المذمومة والتزيي بالأوصاف المحمودة. وخلاصة القول : إن تجرد الفقراء الصوفية هو تجرد عن الأغيار قولا وفعلا، ظاهراً وباطناً. كما يدعو إلى ذلك الشرع في مثل قوله تعالى : ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو...﴾.

**العلم الثالث** بحث فيه أصل الإنكار على الصوفية حالهم وسببه، معتبرا الإنكار على صفوة الله وأحبائه من الصفات القبيحة التي عُرفت عند أقوام سابقة وتوارثها بعض اللاحقين من هذه الأمة وتجذرت في سلوكهم. فمذهب الصوفية والفقراء المتجردين ما هو إلا مذهب أهل القرآن والحديث وعلومهم مكارم الأخلاق التي بعث النبي ﷺ من أجل إتمامها.

**العلم الرابع** عرض فيه الأمور التي أنكر غير الصوفية عليهم، وهي سبعون أمراً تتعلق بكل جوانب سلوك الصوفي في حياته العامة والخاصة ؛ من تجرد وتقشف وترك للأسباب ولباس الصوف والرقاع... والخروج عن المال وترك الإدخار... وإنشاد الشعر... والبسط وأكل الطيبات.... وأبان عن سند تلك الأخلاق والسلوكات في القرآن والسنة معتبرا أن من أنكر على الفقراء، ما يتحلون به من جليل الأفكار والأفعال فإنما ينكر على كتاب الله وسنة رسوله.

**العلم الخامس** تعلق البحث فيه بالسماع ولواحقه، على اعتبار أن السماع هو الذكر الجميل والإلقاء الحسن، سواد كان ترتيلا لآي الذكر الحكيم، أو إلقاء الشعر بلحن أو بغير لحن، كما أنه الغناء الخارج من أصوات طيبة حسنة موزونة إما مرافقة بأصوات آلات، كصوت المزامير والأوتار وضرب الطبل والدف وغيره، أو غير مرافقة.

ومن لواحقه أنه يثير في النفس أحوالاً مما يهيج عاطفة السامع، يثير فيه شوقا عظيما ووجداً مما يولد حركات في أعضاء الجسم من تصفيق ورقص. وقد جعل الششتري السماع المصحوب بالموسيقى

والرقص من دواعي استعداد السالك لقطع الطريق إلى الله، وقد أورد عدداً من الآيات والأحاديث تدعم شرعية السماع، فلا ينكر السماع إلا جاهل أو مدع، بل إن منكر الشعر عنده جاهل بالسنة.

في **العلم السادس** عرض الششتري لعلوم الفقراء المتجردين وعبادتهم وأين هم من علوم الصوفية. وبين أسباب إنكار أهل الظاهر لعلم الباطن وأن يكون للفقراء نصيب فيه، فأبطل مزاعمهم ودعاويهم في المسألة معتبرا أن علومهم على خلاف العلوم الأخرى هي علوم الآخرة والإخلاص والأخلاق التي بها يكون كمال النفس.

كما عرض في آخر فقرة من هذا المبحث، تحت عنوان : «أين هم من الصوفية»، للعلاقة التي تربط بين الفقراء المتجردين والصوفية ومدى اختلاف أو تطابق علومهم، وذلك في ثلاث جمل :

الأولى في الفقر والتصوف، والثانية في الفقراء والصوفية، والثالثة في السلوك والجذب.

**العلم السابع** تعلق البحث فيه : بالمشيخة والخدمة وتربية المشيخة، وحجية إكرام المشايخ في الإسلام والمشي مع ركاب المشايخ وتقديمهم في الكلام، ولزومهم عند الاجتماع وصحبتهم، كما بحث فيه عن الأصل في استناد المشايخ للمخاد، وخدمة الشيخ لمن دونه، وأبان بعد ذلك عن الحكمة من موافقة المشايخ في تصرفاتهم وعدم الاعتراض عليهم، وأخيرا بحث مسألة المشيخة والولاية وحقيقة الولي وحقيقة الشيخ وعلاماتهما، ومسألة الاجتهاد دون شيخ ومخاطرها، وانعكاساتها على السالك للطريق الصوفي.

**العلم الثامن** بحث فيه آداب الفقراء المتجردين في الأكل والشرب والاجتماع حول المائدة، وأدبهم في اللباس والجلوس والجوع والمرض وفي الموت، وبين مدى اقتدائها واستنادها إلى الكتاب والسنة، اتباعاً لآداب الرسول وخلقه الذي هو خلق القرآن.

**العلم التاسع** عرض فيه حقيقة توحيد الفقراء المتجردين وتميزه عن توحيد العامة القائم على إفراد الذات عن الشريك دون بحث واستدلال، والمتمثل في العلم بأن الله تعالى لا شريك له ولا مثل له، له الصفات والأسماء الحسنى، وتوحيد الخاصة القائم على توحيد الله بالنظر والاستدلال بالحجج العقلية والنقلية، لأن توحيدهم هو توحيد خاصة الخاصة القائم على عجز الفقير المتصوف عن بلوغ كنه حقيقة التوحيد، الذي لا يرى في التوحيد دليلا لشدة ظهوره.

وأخيراً **العلم العاشر** وخصصه لشرح الألفاظ الدائرة بينهم والمصطلحات التي يصطلحون بها على المعاني الموضوعة في علومهم، وذلك لتعميم الفائدة وتوضيح ما أشكل على الغير، غير الصوفية، من ألفاظ التصوف وكلماته.

**ثالثا ـ منهجية التأليف :**

افتتح الملخص والمنقح الكتاب بمقدمة بين فيها طبيعة العمل الذي قام به وحقيقته من حيث هو مقتطف من رسالة الشيخ «أبي الحسن الششتري»، ليصرح بعد ذلك بالتسمية التي اقترحها للكتاب، وهي «الإنالة العلمية من الرسالة العلمية في طريق الفقراء المتجردين من الصوفية». ثم ذكر أنه في تلخيصه هذا لم يقتطف إلا النواظر، وأنه كان

يخالف أثناء عمله ترتيب الرسالة الأصل في مواضع لتيسير قراءتها، إلا أنه كان دائما يسوق كلام المؤلف بلفظه من غير زيادة ولا تغيير. وبعد هذا وذاك قام للتعريف بالمصنف وإظهار مكانته الصوفية والعلمية والأدبية والفنية، والوقوف على مناحي سيرته الذاتية.

ومنهجية المصنف في كتابته لهذه الرسالة جاءت كما يلي : بعد أن صرح في صدر مؤلفه بأنه لاحظ ما يتعرض له الفقراء المتجردون من الصوفية من إنكار عليهم من الفقهاء المتزمتين ومن يدور في دائرتهم، قام لمنافحتهم وفضح نواياهم لإحقاق الحق وإزهاق الباطل. وقد دلل على ذلك في عشرة علوم، فكان يعرض لكل علم من علومهم ويحلل مضامينه ويوضح مقاصده، ويظهر الأساس الذي بنى عليه الفقراء المتجردون مناهجهم فيه، ليستنتج من كل ذلك التزامهم فيما اعتقدوه وعملوه، بالسنة ومكارم الأخلاق، وبعدهم عن الزيغ والخطأ، وسقوط المنكرين عليهم تحت وطأة الجهل والظن والباطل.

## رابعا ـ قيمة الكتاب العلمية والتاريخية :

تعتبر «الرسالة العلمية» ذات قيمة فكرية كبيرة وذلك من عدة مناحي أهمها :

1 ـ إن ما ورد في الرسالة من أفكار وآراء ومعارف صوفية وإشارات لعلوم عقلية ونقلية، ليدل بكل وضوح على المكانة العلمية التي كانت للششتري، واطلاعه الواسع على كل ميادين المعرفة التي سادت في عصره. كما تعطينا صورة واضحة عن شخصية المتصوف المنظر المفكر في القرن 7 هـ بالغرب الإسلامي، وهي شخصية

مسوعية الثقافة متفتحة متميزة بكمالها الأخلاقي والوجودي والمعرفي، أو على حد تعبير «ابن الخطيب» : هي شخصية استوعبت بعمق جميع الآراء، رأي أهل الأنوار من الأقدمين، ورأي الحكماء المتمللين، ورأي من بعدهم من المتممين...[1].

2 ـ كما أن الرسالة العلمية وثيقة فريدة في نوعها لأنها تُعَبِّرُ عن مرحلة هامة من مراحل معراج الششتري الصوفي، ألا وهي المرحلة الأخيرة التي عاشها بمصر على رأس الجماعة السبعينية، كما أوضحنا سلفا، التي تراجع فيها عن القناعات الصوفية الفلسفية، وتخلى عن أفكار وحدة الوجود المطلقة، وتحول نحو تصوف معتدل هو أقرب إلى السنة من الآراء الصوفية الفلسفية.

3 ـ كما تعتبر الرسالة ذات قيمة تاريخية لأنها تشير إلى ذلك الصراع الذي احتدم بين الفقهاء والعامة التابعين لهم وبين المتصوفة، وتضييق أولائك على هؤلاء. كما تشير إلى الجو السياسي العام، الذي اتسم بالتزمت وتعاظم سلطة الفقهاء وانقياد الحكام والعامة لهم، وكثرة الفتاوى التي تحرم كل تيار فكري حر، بما في ذلك التصوف، والضرب بيد من حديد على يد كل فكر لا يتماشي والنظرة السنية الضيقة (الأرثدكسية) للإسلام.

---

(1) روضة التعريف بالحب الشريف ج 2 ص 554، تحقيق محمدا لكتاني ط 1 بيروت 1970.

## الفصل الثالث

# النسخ الخطية ومنهج التحقيق

### أولا ـ وصف النسخ المعتمدة في التحقيق :

من أجل تحقيق هذه الرسالة اعتمدنا على ثلاث نسخ خطية : إثنتان مغربيتان : الأولى ملك خاص، والثانية في الخزانة العامة بالرباط، والثالثة مخطوطة دار الكتب المصرية.

1 ـ نسخة في ملك السيد عبد الحميد عشاب قيم خزانة «عبد الله كنون» بطنجة، تقع في 56 ورقة من القطع الكبير مقياسها 29,/20 ومسطرتها : 33 سطراً، معدل السطر الواحد 12 كلمة، كتبت بخط مغربي واضح نسبيا، فرغ منها ناسخها في 24 من رمضان 1223 هـ. وقد حرص الناسخ على تفادي الأخطاء وتوخي الدقة والأمانة في نسخها، لكنه مع ذلك كانت له هفوات ووقع في أخطاء سيتم الإشارة إليها في مكانها. وقد جعلنا هذه النسخة الأصل واتخذنا منها أساسا للتحقيق لأنها تامة لم يسقط منها إلا بضع كلمات، ورمزنا لها بحرف « ع ».

2 ـ نسخة قسم الوثائق والمخطوطات بالرباط، تقع في 107 ورقة من القطع المتوسط مقياسها 20/15 ومسطرتها : 19 سطرا، معدل السطر الواحد 10 كلمات، كتبت بخط مغربي جيد وسجلت تحت رقم 3579 ـ 1795 د وهي بدون تاريخ.

هذه النسخة كثيرة التصحيف والتحريف، كثيرة الأخطاء، ناقصة سقطت منها كلمات وجمل كثيرة، ورمزنا لها بحرف «ر».

3 ـ نسخة دار الكتب القومية المصرية، تقع في 83 ورقة من القطع المتوسط مقياسها 20/15 ومسطرتها 21 سطراً، معدل السطر الواحد 15 كلمة، كتبت بخط مغربي واضح وجيد، سجلت تحت رقم 265 تصوف وهي بدون تاريخ، لكنني قدرت أن نسخها كان بعد 1223 هـ لأنها نسخة منقولة عن النسخة المخطوطة التي في ملك السيد عشاب (ع). وما دفعنا إلى اعتبار ذلك مسألتان :

ـ **أولاهما** : أن هناك أخطاء في رسم بعض الكلمات راجعة إلى عدم تبين الناسخ للمخطوط المصري حقيقتها، كما أنها متشابهة حتى في الأخطاء اللغوية التي ارتكبها الناسخ لمخطوط «عشاب».

ـ **وثانيهما** : أنني وجدت رسالة مصاحبة للمخطوط مكتوبة بنفس الخط الذي نسخ به، وتتعلق بالتعريف بالطائفة الدرقاوية : أصلها، شيوخها وآرائها، بما فيها آراء الشيخ ابن عجيبة الحسني المتوفي سنة 1224 هـ. وقد رمزنا لها بحرف «ق» وجعلناها أساسا للتحقيق في درجة ثانية.

**ثانيا : المنهج المتبع في التحقيق :**

لقد كانت أولي محاولاتنا من أجل تحقيق هذا النص هو قراءتنا للنسخ التي توفرت لدينا من المخطوط ثم بعد ذلك اتخذنا النسخة الأكثر وضوحاً من حيث كتابتها، والأقدم تاريخاً وجعلناها أصلا لتحقيق الكتاب، كما أننا راعينا أن تكون أقل النسخ تصحيفاً وتحريفاً وأخطاءً ونقصا، واستعنا بالنسختين الآخرتين لِسَدِّ ما في الأصل من

نقص وتصحيح أخطائه المختلفة. ثم بعد ذلك قمنا بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والوقوف على الأعلام الواردة أسماؤهم في المتن والتعريف بهم ما أمكننا ذلك، وكذلك شرح المصطلحات فلسفية كانت أو صوفية اعتماداً على المعاجم والقواميس المختصة.

وقد ذيلنا الكتاب بالفهارس التالية :

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس المصطلحات الصوفية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات

وقبل الانتهاء نريد أن نتقدم بشكرنا وامتناننا لكل الذين ساعدونا من قريب أو بعيد على إخراج هذا العمل.

ونسأل الله أن يتقبل عملنا وأن يعيننا على إنجاز أعمال أخرى مشابهة، والله ولي التوفيق.

الدار البيضاء في 06 مارس 2003

**الدكتور محمد العدلوني الإدريسي**
**أستاذ الفلسفة**
**أستاذ التصوف الأندلسي**
**مركز فكر الغرب الإسلامي**
**للدراسات والأبحات والترجمة**

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم

# قال الشيخُ الفقيه الأستاذ الأوحد
# المتخلص المتصوف المتفني الصالح الأفضل
# أبو عثمان سعيد بن الشيخ أبي جعفر أحمد بن إبراهيم
# ابن ليون التُّجِيبِي رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين.

الحمد لله الذي جعل الفقر حلية أوليائه وصفوته، ونوّرهم بأنوار معرفته ورحمته، وفجر ألسنتهم بينابيع حُكمه وحِكمته، وطهّرهم من الأدناس بما اختصهم به من لطفه ونعمته، وحجب بعض الكبراء منهم أن يعرفوا وتلك سنته ولا تبديل لسنته، والصلاةُ التامة على سيدنا محمد الذي اختار الفقر وأشاد[1] بمزيته، وشيد الحنيفية[2] السّمحة بخلقه العظيم وسيرته، والرضَا عن أصحابه وآله وعترته : وَبَعْدُ : فهذه إشارة إلى ما يعتمده الفقراء المتجردون[3] من الصوفية في طريقهم اقتطفْتها من رسالة الشيخ الصوفي أبي الحسن الشُّشْتَري رحمه الله لمن رغب ذلك

(1) في «ع» : أشاذ وكذلك في «ق» بينما في «ر» شاذ وهو خطأ.
(2) في «ع» : الحنيفة وفي «ر» : الحنفية.
(3) في «ر» المتجردين، وفي «ع». و«ق» المتجردون وهو الصحيح

مني بحفظ طريقهم، وليُعد من حزبهم الطاهر وفريقهم، وصححت له الأكثر ما تضمنته الأحاديث النبوية وقربت له ما حوته من الآثار الصوفية وأكثر ذلك من صفوة التصوف للإمام "أبي الفضل. محمد بن طاهر بن علي المقدسي" ومن عوارف المعارف للإمام شهاب الدين أبي عبد الله وأبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله البكري السُّهْروردي (بضم السين) رحمه الله. على أني لم أخذ من عيون رسالته إلا النواظر[1] و لم أقتطف من حدائق روضاته إلا الأزاهر، وخالفت ترتيبه في مواضع قصداً للمناسبة والتيسير، وسقت كلامه بلفظه في الأكثر من غير زيادة عليه تحاميا من التطويل والتغيير، لكن قَيدت ضبط[2] بعض الكلام وفسّرت معنى لفظ بينهم وكملت في مواضع بعد تثبت[3] معنى لم يتم، ورتبت ألفاظ العلم الآخر منها على حروف المعجم ليكون النظر فيها لمن ابتغى لفظَه منها أيسر وأحكم، وسميتُها الإنالة العلمية من الرسالة العملية في طريقة الفقراء المتجردين من الصوفية. وقد قدمت من التعريف بالمصنف رحمه الله ما يبين رتبته ويُبدي سيرته.

(1) في «ر» : النواذر، وفي «ق» : النواضر، وفي «ع» : النواظر وه الصحيح.
(2) في «ر» : خبط وهو خطأ
(3) في «ر» : قلت.

# التعريف بالمصنف رحمه الله

هو الإمام الصوفي المتجرد أبو الحسن علي بن عبد الله النُّمَيْري الششتري الأندلسي، وششتر بشينين معجمين أولاهما مضمومة والثانية ساكنة بعدها تاء مثنات فوقية معجمة ثم راء، من عمل واد آش، وزقاق الششتري معلوم[1] بها وششتر أيضا من مدن العراق. جال الآفاق ولقي المشايخ وسكن الرباط وحج حجات، وآثر التجرد والعبادة واجتمع «بالنجم بن إسرائيل الدمشقي الإسرائيلي» الفقير، سنةَ خمسين وستمائة. قال لقيه وهو على قدم التجرد، وله أشعار وأذواق[2] في طريق القوم. قال وكان من الأمراء وأولاد الأمراء[3] فصار من الفقراء وأولاد الفقراء. وذكره "القيسي أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني" قاضي بجاية في كتابه: «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في[4] المائة السابعة بمدينة بجاية»، فقال : الفقيه الصوفي الصالح العابد أبو الحسن الششتري من الطلبة المخلصين[5] والفقراء المنقطعين،

(1) في «ر» : معروف

(2) في «ر» و«ق» : زائدة

(3) الجملة من قال إلى الفقراد مبتورة من «ر»

(4) في «ع» : «أهل»

(5) في «ر» وفي «ق» : المحصلين

له علم بالحكمة ودراية[1] بطريق الصوفية، وله تقدم في النظم والنثر على طريقة التحقيق، وأشعاره في ذلك وتواشيحه ومقفياته[2] وأزجاله غاية في الانقطاع، وكان كثيرا ما يجود عليه القرآن. وظهرت له كرامات منها أنه نادى يوما يا أحمد وهو مع أصحابه ببرية قابس، فقال أحدهم : من أحمد هذا قال : من تسرّون به غدا، فلما ورد بالغد بلدة قابس، وجدوا أحمد قد جاء من الأمس، فقال[3] : صافحوا أخاكم المنادَى بالأمس. ودخل عليه ببجاية أبو الحسن بن علي من أمنائها، وهو يذاكر في العلم فأعجبته طريقته فنوى أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دينارا، ثم ساق شطرها وحبس الثاني ليزودهم به[4]، فرأى النبي ﷺ في النوم ومعه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما، فقال ادع الله لي يا رسول الله، قال لأبي بكر : اعطه فأعطاه[5] نصف رغيف[6] كان بيده، فقال له الشيخ في الغد : لو أتيت بالكل لأخذت الرغيف كله.

وله كتاب العروة الوثقى في بيان[7] السنن وإحصاء العلوم، وما يجب على المسلم أن يعلمه ويعتقده إلى وفاته. ومنْهُ اختصر[8] رسالته التي اقتضبت[9] الإشارة منها. ولهُ المقاليد الوجودية في أسرار إشارات

(1) في «ر» و«ق» : معرفة
(2) في «ع» : مقاماته
(3) في «ق» : فقالوا.
(4) في «ر» : ليزيدهم
(5) في «ع» : أعطيه
(6) في «ر» : رغيفة
(7) في «ر» : بين
(8) في «ر» : اختصار
(9) في «ع» : اقتضبت

الصوفية. وله الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة. والمراتب الإسلامية والإيمانية والاحسانية. وله غير ذلك. ومن شعره قصيدته التي أولها :

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى    بفكر رمى سهما فعدى به عدنا

سبعون بيتا. وقصيدته التي أولها :

أيا سعدى[1] قل للقس من داخل الدير    أذلك نبراس أم الكأس بالخمر

سبعة وثلاثون بيتا. وقصيدته التي أولها :

لأخلعن عذارى في محبتكم    بحولكم لا بحول لي ولا حيل

أحد عشر بيتاً. ونظمه في التحقيق كثير. أخذ عن القاضي "أبي القاسم محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقة الأنصاري الشاطبي" وعن غيره من أصحاب السُّهروردي صاحب العوارف وغيرهم. وعمدته في طريق التصوف الشيخ عبد الحق بن سبعين[2]. ومن كلام الغبريني وغيره أنه لما وصل للشام ساحل دمياط وهو مريض، نزل قرية هناك على قرب منها على ساحل البحر الرومي يُصطاد فيها السمك، فقال : "ما اسم هذه القرية ؟". قيل الطينة، قال : "حنت[3] الطينة إلى الطينة"، ووصّى أن يدفن بمقبرة دمياط لأن الطينة في مفازة بالرمل، ودمياط أقرب المدن إليها، فحمله الفقراء على أعناقهم، فتوفي بها يوم الثلاثاء سابع عشر صفر الخير عام ثمانية وستين وستمائة، ودفن بمقبرة دِمْياط.

---

(1) في الديوان : «أيا سعد قل للقس من داخل الدير». ص 42 .

(2) الجملة من وعمدته إلى ابن سبعين، ناقصة في «ق» و«ر»، في «ع» : مغارات

(3) في «ر» : حلت.

كلامُ المصنف في صدر الرسالة قال: إني لما رأيت انكار المباح على الفقراء المتجردين والتسليم فيما لا يجب للكبراء المترفين حتى سبق للجهلة سوء ظن بأرباب الخرقة ومن تزيا بها[1] من المنتحلين من قطعه عن رتبتهم بعد الشقة، ثم رأيت من ضرب لهم بسهم في محبتهم أو أقامه[2] الله في خدمتهم ربما نقصهم[3]، وعنده من هو فيهم من المبغضين وأظهره الشيطان في زي الصالحين وهيئة الناسكين، فنطقوا فيهم بالزائد والناقص[4] وعمروا الأوقات في ذكرهم بالغيبة والنقل الفاسد، أجْلَيْتُ ما خفي من أمورهم عن المتقدمين، وأظهرت ما بنوا عليه مناهجهم من السنن كالصبح المبين إذ هم أطوع الناس للسنة والكتاب، وأبعدهم من الخطأ وأقربهم للصواب، ودللت على ذلك في عشرة أعلام:

أ ـ في أصل طريقهم. ب ـ في تجريدهم وظهورهم بالسنة ومكارم الأخلاق وظهور غيرهم بحليتهم وخفائهم عن الناس. ج ـ في أصل الانكار عليهم من أين نشأ. د ـ في الانفصال عما أنكر عليهم. هـ ـ في السماع ولواحقه. و ـ وفي علومهم وفي عبادتهم وأين هم من الصوفية. ت ـ في المشيخة والخدمة والتربية. ص ـ في آدابهم. ط ـ في توحيدهم. ي ـ في الألفاظ الدائرة بينهم.

(1) في «ر» تزياها

(2) في «ر»: و

(3) في «ر»

(4) في «ر»: بالنقص والزائد.

# العلم الأول

# في أصل طريقتهم

لاخفاء أن الفقراء المتجردين من الصوفية هم الذين ورثوا رتبة أهل الصفة، في الجلوس في المساجد والرباط والتجرد، وقلة التسبب. والصُّفَّة ـ بضم الصاد وشد الفاء ـ سقيفة كانت في مسجده عليه السلام، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لقد رأيت سبعين رجلا من أهل الصُّفَّة ما منهم رجل عليه رداء اما إزار (أو بردة) وإما كساء قد ربطوه في أعناقهم فمنها: ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين[1]، فيجمعُه بيده كراهة أن ترى عورته»[2]. والناس اليوم ينكرون على الفقراء هذه الصفة وهي سنة، لأن السنة في عُرف الشرع: ما أقره عليه السلام أو علمه أو عَمله[3]. وكان عليه السلام يحسن إليهم ويؤنسهم و لم يأمرهم بتكسّب، وفي صحيح مسلم عن أنس قال: «جاء ناس إلى النبي ﷺ فسألوه أن ابعث معنا رجالا يعلمون القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء»[4]. فيهم خالي حرام، بحاء مهملة وراء، يقرأون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون،

(1) في «ر»: الكفين

(2) الحديث: رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد، الحديث 431.

(3) في «ق»: علمه

(4) الحديث: 13481 و13881.

وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه بالمسجد ويحتطبون[1] فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصُّفة والفقراء، فبعثهم إليهم[2] فعرضوا لهم في الطريق[3] فقاتلوهم قبل أن يبلغوا المكان. فهؤلاء لم ينههم[4] النبي ﷺ، ولا نهى القراء عن خدمتهم، وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن أصحاب الصفة كانوا أناسا على عهد النبي ﷺ وأنه قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان طعام أربعة فليذهب بخامس أو بسادس أو كما قال»[5]، وأن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي ﷺ بعشرة فصح أنهم كانوا فقراء متجردين يقرأون في المسجد غير متسببين وهذه صفة الفقراء[6] المتجردين اليوم. وقال أبو طلحة: "كنا ناتي المدينة فمن كان له بها عريف نزل عليه وإلا نزل بالصُّفة". وكان الراتبون بالصفة نحو أربعمائة رجل منهم "أبو هريرة" و"الأعمى بن أم مكتوم" و"صهيب" و"سلمان" و"خُباب" و"بلال" رضي الله عنهم. وكان عليه السلام يفضل الفقراء على الأغنياء وكذلك جميع الأنبياء عليهم السلام، وقال: «إنهم أكثر أتباع الأنبياء»[7]. وروى البخاري في قصة هرقل ملك الروم أنه لما سأل "أبا سفيان بن حرب" عن الفقراء[8] النبي ﷺ، «هل يتبعه أشراف[9] الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: فقلنا بل

(1) في «ر»: يتحطبون
(2) في «ق»: إليه
(3) ناقصة: في «ع» و «ر»
(4) لم ينهاهم: في «ر»
(5) الحديث: كتاب الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل، رقم 577.
(6) ناقصة في «ر»
(7) الحديث: لم نعثر عليه بهذه الصيغة
(8) في «ر»: على
(9) في «ر»: أشرف

ضعفاؤهم. قال : كذلك الأنبياء»[1]، فتبعية الفقراء من علامات[2] النبوءة. والمومنون به عليه السلام منهم من قام بالجهاد، ومنهم من قام بالزراعة، ومنهم من قام بتقييد العلم، ومنهم من قام بالقراءة، ومنهم من ركن للعبادة وهم أهل الصَّفة، والكل في عبادة وسنة. ولما كان المهاجرون والأنصار لهم قبائل وعشائر انضاف بعضهم إلى بعض، وبقيت طائفة أهل الصُّفة تراعي القبائل فجعلهم النبي ﷺ في الصفة وضمهم إليه، إذ كانوا لا يملكون شيئا ولا لهم بيوت يسكنون فيها، ولا قبائل ينضافون إليها، فصاروا كالقبيلة الواحدة، وكذلك الفقراء إلى اليوم، وكانوا ضعفوا عن الجهاد وغيره، ومنهم الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾[3]، وفي صحيح البخاري عن "عائذ بن عمر" : «ان أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله فأخذها فقال أبو بكر أتقولون[4] هذا لشيخ قريش وسيدهم فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك، فأتاهم أبو بكر فقال يا هؤلاء أغضبتكم قالوا لا، يغفر الله لك»[5]. ولما أتى "الأقرع بن حابس" وصاحباه النبي ﷺ وكانوا من المؤلفة قلوبهم أمراء شعراء يتقى من ألسنتهم، قالوا : يا رسول الله اجعل لنا مجلسا ولهؤلاء مجلسا فإنهم يؤذوننا برائحة جبابهم، وكرهوا أيضا أن تراهم العرب قعوداً معهم لفقرهم، فهمّ عليه السلام

---

(1) والحديث في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي رقم 7.

(2) في «ع» : علامة

(3) التوبة : 92.

(4) في «ر» : تقولون

(5) الحديث : في صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رقم 2054 .

بذلك فنزل قوله تعالى : ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم تريد زِينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا، وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[1]. ثم هددهم بالنار لتعديهم الحق. وكان عليه الصلاة والسلام قبل هذا يجلس معهم ويقوم إذ شاء ويتركهم، فصار لا يقوم حتى يقوم الجالس معه منهم، وصاروا لا يطيلون الجلوس معه، وكان يقول لهم مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم. روى الترمذي عن أبي هريرة أنه عليه السلام أنه قال : «يدخل الفقراء من المسلمين قبل الأغنياء الجنة بنصف يوم وهو خمسمائة عام»[2]. وقال عليه السلام : «اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»[3]. ولو لم يكن في دعائه عليه السلام إلا أن يحشروا معه لكان لهم[4] فخراً عظيماً، فكيف وقد دعا أن يحيا حياتهم ويموت موتهم ويحشر معهم، ودعاءه عليه السلام مستجاب. وقال : «اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً»[5] وقال لعائشة : «ان سرك اللحوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء، ولا تستبدلي ثوبا حتى ترقعيه، إنما يكفيك من الدنيا كزاد الراكب»[6] أخرجه الترمذي. وقال تعالى : ﴿يأيها النبي قل

(1) الكهف : 28 - 29 وفي «ر» خلط بين الآية 52 من سورة الأنعام والآية 28 من سورة الكهف.

(2) الحديث : رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في فقراء المهاجرين، رقم : 2353.

(3) الحديث : رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في فقراء المهاجرين، رقم 2352.

(4) ناقصة في « ع» وفي «ق»

(5) الحديث : صحيح ابن حبان «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً» كتاب التاريخ رقم 6343. باب من صفته ﷺ.

(6) الحديث : رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها وفي «ر» : الحديث غير كامل. كتاب اللباس باب ما جاء في ترقيع الثوب رقم 1780.

لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتنّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما﴾[1] وقال تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا﴾[2] ونزل في حق ابن أم مكتوم : ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾[3] فقد ظهرت صفة أهل الصفة الذين يقتدي بهم الفقراء المتجردون :

| | |
|---|---|
| يا طالبا من الإلاه الزلفة | لا تنتمي لغير أهل الصفة |
| وليس القول لهم برأفة | فإنهم أهل التقى والألفة |

(1) الأحزاب : 28.

(2) الأنعام : 52.

(3) عبس : 80.

## العلم الثاني

# في تجريدهم وظهورهم بالسنة وبمكارم الأخلاق، وظهور غيرهم بحليتهم وخفائهم عن[1] الناس

قال الله تعالى : ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾[2]. وقال : ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾[3]. وقال تعالى : ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾[4]، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها : «ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً ولا أوصى بشيء»[5]. وقال ﷺ : «محبة الدنيا رأس كل خطيئة»[6]. قالوا : فإذا قطع رأس بدن الخطايا

(1) في «ر» في الناس
(2) محمد : 32
(3) الشورى : 20
(4) طه : 131
(5) الحديث : رواه مسلم : كتاب الوصية، باب ترك الوصية... رقم 1635.
(6) ليس حديثا وإنما هو من كلام جندب بن عبد الله الصنعاني، جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ص 300 ط 1 بيروت 1408

بالزهد ماتت الخطايا، فالتجريد ترك الدنيا، وهو إما بالباطن أو بالظاهر أو بالباطن والظاهر معا. فالتجريد بالباطن طريقة الملامتية[1] من الصوفية. قلت نسبوا إلى الملامة لأنهم يظهرون ما يلامون عليه تسترا لأنفسهم وطلبا للاخلاصِ، بكسر الميم والتاء في اسمهم مقحمة لأن تاء التأنيث تحذف مع ياء النسب وهي مع فتح الميم على الأصل. وهم لا يملكون غير لباس حسن وقد يطوون الليالي وهم في غاية النظافة[2]. وقد تكون في أيديهم المفاتيح يموهون أنهم أهل مال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف. ومنهم من لا يقبل شيئاً ومنهم من يقبل دون سؤال. وأكثرهم[3] يأأكلون عند الأصدقاء وقد يشاركهم الغني الشاكر إذا لم يعلق المال بباطنه، ولكن المال لا يكاد أحد يسلم من فتنته. وعن أبي سعيدٍ أنه عليه السلام قال : «هلك المكثرون إلا، قالوا : إلا، مَن يا رسول الله ؟ قال : هلك المكثرون إلا، قالوا : إلا من يا رسول الله ؟ قال : هلك المكثرون إلا، قالوا : إلا من يا رسول الله ؟ قال : إلا من أنفق هكذا وهكذا، وقليل ما هم وأشار إلى الانفاق عن يمين وشمال وقدام»[4].

والتجريد بالظاهر عدم المال وهو خير للفاضل والشرير، أما الفاضل فيحفّ بالفقر شُعبه ويهون حسابه. وروى "حذيفة" أنه عليه السلام قال : «إن الله تعالى ليتعاهد وليه بالبلاء كما يتعاهد المريض أهله

(1) في «ر» الملامتة. والملامتية، هم الذين لم يظهر على ظواهرهم ما في بطونهم أثر البتة، فهم لا يظهرون خيراً ولا شراً. م.م.ص.د. حنفي
(2) في «ر» : النصفافة
(3) في «ر» : وأكثر ما.
(4) حديث : خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي سعيد الخذري، كتاب الزكاة باب المكثرين.

بالطعام، وإن الله ليحي عبد الدنيا كما يحي المريض الطعام»[1]. ولهذا قالوا : ومن العصمة ألا تقدر ومن العصمة ألا تجد، وروت عائشة أنه عليه السلام قال : «إن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا»[2]. قيل إن ذلك لكثرة ماله مع أنه بدري عقبى من العشرة المشهود لهم بالجنة، فما ظنك بغيره من أولي المال. وأما الشرير فتقل[3] بالفقر استطاعته على الفساد فلا تكثر ذنوبه.

والتجريد بالباطن والظاهر معا طريقة رسول الله ﷺ وطريقة أصحابه رضي الله عنهم، ومن كان ذا مال كان المال عنده كالعارية. وفي صحيح البخاري عن "عمرو بن الحارث" قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيرا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة»[4]، ورُوي أنه قال : «خيّرت بين أن أكون نبيا ملكاً أو نبيّاً عبداً، فأشار جبريل عليه السلام ان تواضع[5]. فقلت بل نبيا عبداً أشْبعُ يوماً وأجوع يوماً»[6]. وفي صحيح البخاري عن "عقبة بن الحارث" قال : «صليت مع النبي ﷺ بالمدينة العصر فسلم ثم قام مسرعا، فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته فقال : ذكرت شيئاً من تمر[7] عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت

(1) حديث : رواه البيهقي في شعب الإيمان عن حذيفة رقم 10452

(2) حديث : رواه أحمد عن عائشة رقم 24886، والطبراني في المعجم : رقم 246

(3) في «ع» فيتقل

(4) الحديث : في كتاب الوصايا رقم 2588، وفي كتاب الجهاد، باب بغلة النبي

(5) في «ع» أن أتواضع، وفي «ق» الحديث غير كامل

(6) الحديث : صحيح البخاري أخرجه أحمد. رقم 7160، وابن حبان في صحيحه رقم 6365

(7) في «ر» و«ع» و«ق» تبر والصحير تمر

بقسمته»[1]، وفي رواية : «فكرهت أن يُمسي أو يبيت عندنا فأمرت بقسمه». ورُوي أنه لم يكن له قميصان و لم ينحل[2] له طعام، وأنه خرج من الدنيا و لم يشبع من خبز الشعير اختياراً.

فالفقير بخير عظيم سواء ترك الدنيا اختيارا أو اضطراراً، والخيرة حقيقة إنما هي لله وحده، لأن العالم كله مضطر فيما هو فيه حتى الملك في ملكه والفقيه في فقهه والصانع في صنعته، والنهي عن إضاعة المال راجع لاهلاكه فيما لا يجب، وأما الخروج عنه لله فقوة لا يقدر عليها إلا الصديق رضي الله عنه لما قال له النبي ﷺ :«ما تركت لعيالك ؟ قال : الله ورسوله»[3]. وقال عليه السلام : «لو كان لي أحدٌ ذهباً لأنفقته في سبيل الله»[4]. ولعلك تحتج علينا بقول "مالك بن أنس" حين عاتبه «يحيى بن يزيد النوفلي» في لباسه وأكله وميله إلى الرفاهية فقال : ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[5] الآية، ثم عقب ذلك بأن قال : "إني أفعل ذلك وأستغفر الله وأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه"، وزينة الله في الحقيقة هي التقوى والطيبات من الرزق هي الحلال. وقوله عليه السلام : «أحب الزينة ولو في شراك نعلي»[6] يريد النظافة مع التقليل والزهد في الدنيا، وكذلك قول عمر رضي الله عنه : إني ليعجبني القارئ النظيف، يعني العابد ويكون أيضا قارئ القرآن. وجاء "عبد الله بن عامر" في بزته إلى "أبي ذر" فسأله عن الزهد فأعرض عنه، فشكاه "لابن

---

(1) الحديث : في كتاب الصلاة، باب من صلى بالناس فذكر حاجتهم فتخطاهم، ر.ج : 813

(2) في «ع» لم يتحل

(3) ورد بالصيغة الآتية : «ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله» أبو داوود. كتاب الزكاة، رقم 1678 سنن الترمذي.

(4) الحديث : لم نعثر عليه فيما لدينا من مصادر بهذا اللفظ.

(5) الأعراف : 32

(6) الحديث : رواه عبد الرزاق في كتاب الجامع باب الأكل متكئا، رقم 19551 وهذا ليس قول النبي وإنما قول أحد الصحابة للنبي.

عمر" فقال: تأتي أبا ذر في هذه البزة وتسأله عن الزهد، وعيرتْ بنو إسرائيل عيسى عليه السلام بالفقر فقال : "من الغنى أوتيتم". وقيل لابن عمر : مات "زيد بن حارثة" وترك مائة ألف قال : لكنها لا تتركه. وقال عمر : "من دخل إلى الأغنياء خرج وهو ساخط عليه ربه". وقال لسقراط تلميذ له وكان ابن ملك : إني لمغموم بك لفقرك فقال : لو علمت ما الفقر لشغلك غمك بك عن غمك بي. ولما رفع الله تعالى عيسى عليه السلام لم يوجد له إلا خف ومدرعة وخذافة يخذف بها الحيوان المؤذي في سياحته. وقالوا : لا يجتمع الذهب واللب، ولأبي تمام :

الضب والنون قد يرجى اجتماعهما
وليس يرجى اجتماع اللب والذهب

واللب هو العقل[1]، ولما ثقل "عبد الملك ابن مروان" رأى غسالاً يلوي ثوبه بيده[2] فقال : "وددت أني كنت غسالاً لأعيش بما أكتسب يوماً فيوماً"، فذكر ذلك "لأبي حازم" فقال : الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه، ولا نتمنوا[3] عند الموت ما هم فيه. ولبعضهم :

يا عايب الفقر لا تزدجر — عيب الغنى أكثر لو تعتبر
إنك تعصي اللّه تبغي الغنى — وليس تعصي اللّه كي تفتقر

ودخل "عمر بن سعيد" على "عمر" رضي الله عنه حين رجع إليه من حمص، وليس معه إلا جراب وإداوة وقصعة وعصا[4]، فقال "عمر" :

(1) و«اللب هو العقل» جملة ناقصة في «ق»
(2) ناقصة في «ق» و«ر»
(3) في «ر» : تمنوا
(4) في «ع» و«ق» : عصى.

"الذي أرى سوء حال أو تصنع ؟" فقال : يا أمير المؤمنين معي الدنيا بحذافرها، صحيح البدن وجراب للزاد واداوة للماء[1] وقصعة لغسل الثوب، وعصا لدفع المؤذي وما بقي من الدنيا تبع". وجملة الأمر التجرد[2] وقطع العلائق وقلة الادخار وكثرة الإيثار ومكارم الأخلاق.

والتجريد مقامات أولها التجريد عن الأوصاف المذمومة بلباس الأوصاف المحمودة، ثم عن الدنيا بقيام بأمر[3] الآخرة، ثم عن الأكوان برؤية المكون[4]، ثم عن الروية بفناء العبودية، ثم عن الفناء عنه، ثم عن هذه المقامات بملاحظة الوجود، ثم عن ذلك كله بالسكينة تحت مجاري الأقدار. وقد يكون التجريد عن الجسم بمطالعة الروح وعن الروح بمطالعة السر، وعن السر بمطالعة الكلمة العلية، والتجريد والزهد والتخلي والفقر والترك تترادف على السلوك وعلى المقامات وقلة الركون إليها وغلبة المحبة الجاذبة للعبد، ولا وقوف مع مقام ولا مرتبة. ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾[5]. فمن عرض ذهب تجريده محك البلوى لقوله تعالى : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم﴾[6] فإن كان[7] ابريزا يصلح لخزانة الملك دعاه داعي الرحمة ﴿يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾[8] ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا

---

(1) في «ر» : للمال.

(2) في «ر» : التجريد

(3) في «ر» : أمر

(4) في «ع» الجملة من : «ثم عن الأكوان» إلى «العبودية» مبتورة

(5) النحل : 96.

(6) محمد : 31

(7) في «ع» فكان إبريز

(8) الزخرف : 68

بيع عن ذكر الله﴾[1]، الآية. ومن تولع بالمراتب والمقامات وأنس بأهلها وأنسوا به لم يشعر إلا وسفينة عمره مقلعة رائحة.

| | |
|---|---|
| تجرد عن الأغيار بالقول والفعل | ولفق شتات الفرع بالجمع للأصل |
| وطهر بيوت اللّه من كل صورة | وما البيت إلا القلب إن كنت ذا عقل |
| ولا تلتفت أهلا وقل لهم امكثوا | فشرط اقتباس النار تركك للأهل |

## ظهورهم بالسنة

السنة لغة الطريقة، وسنة رسول الله ﷺ وطريقته ترك الدنيا. كان يلبس الصوف ويخصف النعل، ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويطحن مع خادمه ويركب الحمار، ولا يأنف أن يردف خلفه، ولا يرد من دعاه، ولا يحقر ما دُعي إليه ولا يرد سائلا. ورُوي أنه ما قال قط لا. ولا يقولها فقير في شيء يملكه، وكان لين الخلق طلق الوجه متواضعاً من غير مذلة، رقيق القلب دائم الإطراق رحيما بكل مسلم، يلبس العباء ويجالس المساكين ويمشي في الأسواق، ويتوسد بيده الكريمة، ويأكل على الأرض و لم يأكل قط وحده ولا جلس متربعاً، ولا أكل متكئاً بل كان يقول : «آكل كما ياكل العبد وأجلس كما يجلس العبد »[2] وقال "النعمان بن بشير" : لقد رأيت نبيكم ﷺ ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه، والدقل بفتح الدال المهملة والقاف رديء الثمر، وكان يمر به

---

(1) النور : 37

(2) الحديث : روته عائشة (رض)، أبو يعلى، مسند عائشة (ض) رقم 4920.

وبأزواجه الشهر والشهران فلا توقد في بيته نار، وخرج من الدنيا و لم يضع لبنة على أخرى. قال المقدسي: كانت ثيابه عليه السلام إزاراً فوق الكعبين وقميصا فوق ذلك ورداء فوق ذلك، وفي "قوت القلوب لأبي طالب المكي"، أنه كان يلبس القطواني الغليظة، والقطواني بفتح القاف والطاء المهملة وواو وألف ونون وياء النسب، هو شبه العباءة أبيض قصير الخمل، قال أنس : وكان قميص قطن قصير الكمين، وكانت سعة كمه شبراً وشيئا، وطوله إلى نصف الأصابع. وفي "الموطأ" عن "أنس" قال : «رأيت عمر وهو أمير المومنين قد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضها فوق بعض»[1]. وقطع علي رضي الله عنه ما زاد على أصابعه. فهذه طريقته عليه السلام وطريقة أصحابه رضي الله عنهم، وبها[2] اقتدى الفقراء لقوله تعالى : ﴿فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[3]، فلبسوا الصوف والمرقعات والنعال المخصوفة، و لم يتكبروا على المشي في الأسواق ولا عن غير ذلك مما رُويَ أنه عليه السلام فعله، ولا اتخذوا مصانع لقوله تعالى : ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾[4]. وكان السلف الصالح رضي الله عنهم يغضون أبصارهم عن نقش الحيطان والأبواب وعن تزويقاتهما، ويقولون لو لم ينظر لهذا ما فُعل. قال "يحيى بن أيمن" : مررت مع "سفيان الثوري" بباب منقوش فنظرت إليه فجذبني. وأول من طبخ الأجر "هامان" بأمر فرعون. والفقير لا يلتفت لشيء من هذا كله ولا يسأل عن أحوال الناس ولا يقول لأحد أين تذهب ولا من أين أتيت ولا يجاوب بلا، ولا يفرط

---

(1) الحديث روي عن أنس، كتاب اللباس باب ما جاء في لباس الثياب رقم 1638.

(2) في «ق» : وبهذا

(3) آل عمران : 31

(4) الشعراء : 129

في التنظيف، والناس يعترضونهم في الخفاء من أجل المساجد. وأول من بسط المساجد الحجاج الظالم فيعترضون سنة ببدعة، وهم لا يطيلون الصلاة، قال "أنس" : «ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم لها من رسول الله ﷺ»[1]. وفي صحيح مسلم عن "أبي مسعود الأنصاري" قال : «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيته غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال : يأيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة»، وفي رواية : «فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة»[2]. وقيل كان الإمام من القراء، والقراء اليوم يأخذون الأجرة على الإمامة والأذان، وقد تكلم فيهم. قال "بشر الحافي"[3] : "إياك وصحبة القراء فإنهم يذمون غير مذموم". وكان «الفضيل بن عياض»[4] ينهي عن صحبة القراء، وقال «سفيان الثوري»[5] :

---

(1) الحديث : في صحيح البخاري كتاب الجماعة والإمامة، باب من أحق الصلاة عند بكاء الصبي، رقم 676.

(2) الحديث : كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة تخفيف الصلاة رقم 466

(3) بشر الحافي : وهو بشر بن الحارث الحافي. قال فيه الإمام اليافعي : كان بشر لا يمد إلى أكل طعام ليس بحلال. وقال فيه المناوي : كان سيد الأولياء العارفين في زمانه.
ونقل في «الفتوحات المكية» عن بعض الصالحين أنه لقي الخضر عليه السلام فقال له : ما تقول في الشافعي ؟ قال : من الأوتاد، قال : فأحمد بن حنبل ؟ قال : صديق قال : فبشر الحافي ؟ قال ترك بعده مثله.
توفي بشر سنة 227هـ ببغداد، وأخرجت جنازته عقب الصبح فلم يصل إلى المقبرة إلا في الليل. أنظر جامع كرامات الأولياء، تأليف يوسف بن اسماعيل النباهي، المكتبة العصرية، بيروت، الجزء 1 .

(4) الفضيل بن عياض : هو أحد أئمة السلف الصالح وأكابر العارفين منهم، وهو من الشهرة وحُسْن الذكر وكثرة تداول التسمية في كتب التصوف.

(5) سفيان الثوري : هو سفيان بن سعيد الثوري، أحد أكابر أئمة المجتهدين وأفراد العباد الزاهدين، كان رضي الله عنه شديدا على الحكام والظالمين. قال الإمام الشعراني : كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث، أنظر جامع الكارامات ج 2 .

"لا شيء أحب إلي من صحبة فتى ولا أبغض إلي من صحبة قارئ" يريد، لشدة قبول الفتى وكثرة اعتراض القارئ، فاعتراض الخاصة والعامة على الفقراء في ذلك كله اعتراض سنة ببدعة يرتكبها أكثرهم ؛ كالترف في اللباس والترفع في المشي في الأسواق، واتخاذ المباني الشامخة، والافراط في التنظيف وغير ذلك.

## ظهورهم بمكارم الأخلاق

قال الله تعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[1]، فالفقراء ينتهون عما نهاهم الله عنه من الركون إلى الدنيا آخذون ما آتاهم من مكارم الأخلاق، عاملون على نيلها ؛ فمن ذلك الميل إلى جانب الله وترك التآنس بالناس والرضى بالفقر، والصبر على الشدائد كالجوع والبرد ومعاناة الأسفار وإذاية الناس، لأن الناس لا يعبأون[2] بهم مع كثرة الإنكار عليهم، حتى كان الناس حفظة على أعمالهم، مع أنهم لا يتكلمون في أمور الدنيا وأهلها ولا فيما لا يعني. ومن فعل ذلك طالبوه حتى يتوب ويستغفر، ويسبهم الصغير والكبير واليهودي والنصراني، فلا يكترثون لذلك ويرون أنه من عند الله لما حبوه[3]، فيستغفرون ولا يشتكون إلى حاكم، ومن وقف موقف الشكوى فليس بفقير. وقد أفسد أحد السوقة فحبس فقال خلوه، وقرأ :

(1) الحشر : 7
(2) في «ر» : بعبثون
(3) في «ر» جنون

﴿وما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى﴾[1]. ويخرجون عن كل شيء يعجبهم أو يعجب غيرهم، ويقدم كل واحد منهم أخاه على نفسه. ومن فتح عليه بطريفة[2] حطها[3] في الوسط، ويقول من له فيها خاطر فليقبلها من أجل الله تعالى، وعلى وجود راحة شكر الله تعالى على قبولها. والمالك[4] منهم لا يجوز شيئا ولا يتصرف إلا بأمر الجميع ولا يجد شيئا بالوسط لأنه لا يملكه، ولا يقول أحدهم متاعي ولا ملكي. وآدابهم المراقبة وقول الحق، لا يبقى لهم صديقا، وهو[5] أصل التعصب عليهم، فإنهم يخاطبون الجبابرة والكبراء بما لا يخاطبهم به غيرهم، ولهم الحجج الواضحة بسبب قطع العلائق، فلا يغلب أحدهم بحجة وإن كان[6] أميا. قيل إن فقيها قال "لحاتم[7] الأصم" وكان أميا، من أين تاكل ؟ قال : من عند الله. قال : ينزل عليك من السماء ؟ قال : لو لم تكن له الأرض[8] لأنزل من السماء كما قال تعالى : ﴿وفي السماء رزقكم﴾[9]. وقال أيضا : ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾[10]، قال الفقيه : لا يغلبكم أحد بحجة، قال : الحق لا يغلبه الباطل. ويسيرون بالليل في الأماكن الخالية

---

(1) الأنفال : 17

(2) في «ر» بظريفة

(3) في «ر» حطاها

(4) في «ر» السالك

(5) في «ر» وهم

(6) في «ر» مبثورة

(7) في «ر» الحاتم. وحاتم هو أبو عبد الرحمان بن علوان، ويقال حاتم بن يوسف الأصم، من أكابر مشايخ خرسان، كان تلميذ شقيق البلخي وأستاذ أحمد بن خضرويه، أنظر أخباره بالرسالة القشيرية...

(8) في «ر» لو لم يكن له أرض

(9) الذاريات : 22 والآية محذوفة في «ع» و«ق»

(10) غافر : 13 والآية محذوفة في «ع» و«ق»

ويقتحمون البراري المهلكة[1] والمعاطس[2] بتوكل وقوة نفس[3]. ويقدمون على السباع شجاعة منهم ويحلمون حتى يُسَبَّ أحدهم فيضحك ويدعو للذي سبه تأسيا بالنبي ﷺ في قوله[4] كلما آذاه قومه : «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[5]. وقيل لعيسى عليه السلام وقد سبه رجل فدعا له فقيل : أتدعوا له وقد سبك ؟ قال : كل واحد ينفق بما عنده. ويستحيي[6] أحد أن يرد على أحد جوابه أو يبدأ[7] بسؤال إلا في دينه. ولا يماكسون[8] في بيع ولا في شراء. واما الأخلاق المذمومة كالحسد والكبر والرياء والمكر والخديعة، فبذهاب الدنيا ذهب الله عنهم ذلك، فإن الأمور المذمومة لا تكون إلا حيلة على الدنيا أعاذنا الله منها.

## ظهور غيرهم بحليتهم

قال الله تعالى : ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾[9]. فكل من فر إلى الله فهو لاحق بالفقراء المهاجرين، لأن خطاب القرآن لا ينقطع إلى يوم القيامة.

(1) في «ر» : المهملة
(2) في «ر» : المعاطيش
(3) في «ر» : محذوفة
(4) في «ر» : زائدة
(5) الحديث : رواه البخاري عن عبد الله في كتاب الأنبياء باب "أم حسبت إن أصحاب الكهف والرقيم"، رقم 3298 ، ومسلم في كتاب الجهاد، رقم 1792 .
(6) في «ر» يستحي
(7) في «ق» يبدأ السؤال
(8) في «ر» يماسكون
(9) الآية : البقرة : 273 ، وفي «ق» المهجرين

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «المسلم من سَلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجَر ما نهاه الله عنه»[1]. والمدّعون لهذا والمتلبسون به أصناف هم عند الناس مشايخ وأولياء وصالحون وليسوا كذلك. ومنهم من ترك المرقعة لما يرى من ذم أكثر الناس لأهلها ثم يتعرض يطلب رضى الناس، ومنهم من كان من المسافرين وترك ذلك لضعفه أو لما يرى من تكالب الناس عليهم، ويظهر أنه لا حاجة له بالفقر ويبقى يتعرض للناس. ومنهم من يسمع كرامات الرجال فيدخل الفقر على أن تخرق له العادات فإذا لم ير ذلك ترك. ومنهم من يدخل الفقر بنية حسنة فلما لم يطق مشقة الطريق رجع، ومنهم من يرى وقت البسط على الفقراء ويرى الراحة والسماع فيدخل فيهم، فيظن أن كل بيضاء شحمة وكل سوداء تمرة، فإذا رأى القبض تركهم. ومنهم من يفتقر أو يضيقه دين أو طلب لقضية أحدثها فيدخل في الفقراء تستراً بهم، فإذا وجد التنفس من ضيقه تركهم. ومنهم من يلبس المرقعة يوهم أنه من أهلها فيقطع بها الطرق في حوائجه، فإذا بلغ حوائجه تركها. ومنهم من يلزم مسجداً للأذان والإقامة والخدمة، فإذا كان لاستجلاب القوت فهو ممن يعبد الله على حرف لياكل بدينه، وإن كان لله فقد اتخذ جهة يعرف بها، والركون للجهة افتقارا لغير الله، وكذلك الذي يعتزل في بيته ويفتح باب الزيارة عليه. ومنهم من يأخذ نفسه بالعبادة والمجاهدة من غير شيخ يبصره بالمقامات والمنازلات، ويتخذ بعض الأذكار هو ومن دار[2] عليه، ويضع لهم قانوناً يتميزون به، ويكاتب المشايخ ويستعمل الأسفار لزيارتهم، وتقرأ بين يديه كتب القوم

---

(1) الحديث : رواه البخاري في كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده رقم 10

(2) في «ع» و«ق» : محذوفة

ويذم المرقعة وأهلها ويحذر منهم، وإذا خرج ميل طيلسانه[1] على عينه ولا يكلم أحداً في الطريق إلا إشارة، ولا يقبل شيئا إلا ممن يدور به، وكل ذلك ليعظمه الناس ويسرعون في قضاء مآربه. ومنهم من يسلك طريق[2] التقشف والزهد ولا يقبل من سلطان ولا رئيس شيئا. والنبي ﷺ قد قبل هدية كسرى وقيصر والمقوقس وغرهم من الملوك، ويأخذ من الضعفاء ويقول هذا حلال لأنه من كَدِّ[3] أيديهم، ويسعى في قضاء حوائجهم عند الكبراء، ويريهم أنه يرفع نفسه عن الأخذ من الملوك والجبابرة، وكل ذلك حيلة لجلب قلوب الناس. ومنهم من يركب ويلبس الرقيق ويأكل الطيب ويهجر السماع ويتكلم في مقامات الرجال وينطق بشيء من ألفاظ القوم ويعترض على الفقراء. وقد حكي أن أحمد بن حنبل سئل عن التصوف فنزع حصيراً كان تحته، وحينئذ تكلم وكان يعظم شيخاً كان يحضر مجلسه، فبيض الشيخ حائط داره فهجره أحمد، فتكلم[4] في ذلك فقال: أخذ أنملة من طريق الناس فأزال الشيخ ذلك فعاد أحمد لصحبته. ومنهم من يستولي بمشيخته أو فقهه على قرية أو بلد ويحجر الصدقات، ويقول إنما هي للمستورين والزمنى ويعطيها لمن يعظمه أو يخاف شره، ويجهد[5] في منعها من الفقراء، والله تعالى يقول: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾[6]، فقدمهم، وهؤلاء يستحقونها بثلاث جهات: بالفقر والمسكنة، وأنهم أبناء سبيل، وأما الزمنى كالأعمى والمبطل

---

(1) طليلسانه: والطَّيلسان ضرب من الأكسية، أصلها فارسي وجمعها؛ طيالس. لسان العرب.

(2) في «ع»: طريقة

(3) في «ر»: محذوفة

(4) في «ع» و«ق»: عَلَّمَ

(5) في «ر»: ويجتهد

(6) التوبة: 60

وشبههم فدكانهم في أجسامهم، فكل أحد يقصدهم بصدقة. ومنهم من يتطوف بالبلاد ويتطهر باللباس الحسن على طريقة التصوف ويقول أكرمني فلان، أهدى لي فلان، ويعظمهم ويثني عليهم في مقامات المشايخ ومجالس[1] أبناء الدنيا، وينسق بحكايات وأمثال، فيتقى لسانه ويعظم ويعطى. ومنهم من يتعبّد خارج البلدان ولا يقبل شيئا من أحد فيحسن به الظن إلى أن يخدع بعضهم بالكيماء أو نوارج، فإذا بلغ مراده ترك. ومنهم من يلبس المرقعة ويتفرد وحده ويتقشف ويسب الفقراء ويقول إنه ما تركهم إلا لأنهم ليسوا على شيء، ويخدم وليا أو رئيساً، فإذا ورد الفقراء وعظموه سَلِمُوا منه، وإلا أطلق عليهم الشناعات ويُقَوِّلَ عليهم. ومنهم من يرتب بالخرقة في بلد ويخدم أهله، فإذا ورد الفقراء دخل عليهم بالقيل والقال، ويلوح أنه في حقهم عند الولاة، وأن الناس تكلموا فيهم[2] حتى يفروا. ومنهم من ينحاش[3] للفقراء ولكن لايزال يقول : رأيت المشايخ منذ كذا سنة، وصحبت الفقراء الذين كانوا على الحقيقة، وقال لي صاحب البلد وقلت[4] له، فإن زادوا عليه زيادة تركهم وسماهم زنادقة. ومنهم من ينتمي للعلم والزهادة ويُعَيِّرُ الفقراء ويقول : يجعلون الرياحين والأنوار والزجاج في الحضرة تشبيها بالخلاع، فإذا رأى الخمر عند أهل الدنيا قال أمرنا بالتستر[5] وحسن الظن. ومنهم من يأخذ نفسه بالجوع حتى يختل مزاجه فيتخيل له أن ملائكة تخاطبه،

---

(1) في «ر» : ويجالس

(2) في «ر» : لهم

(3) في «ر» : يخاش

(4) في «ق» و«ع» : وقلنا

(5) في «ر» و«ق» : بالستر

ويقول كلامه جاهل فلا يقبل بعد ذلك كلاماً لأحد من أهل العلم. ومنهم من يتورّع ويترك اللحم لأن أهل البهائم لا يتحفظون في كسبها، ويترك الحوت لأن الشباك على غير وجهها، ويضيق على نفسه بالجهل، حتى ذكر أن بعضهم كان يشتري القمح بأرض الروم فعيرت الروم المسلمين بذلك. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «ما قطع ظهري في الإسلام إلا عابد جاهل يرغبُ الناس فيما يرون من نسكه». ومنهم من يدق[1] في العبادات ويهجر النوم ويجوع ولا يأكل شيئاً عند أحد، وهم المعمقون. وهذه بدع. قال ابن مسعود : يظهر المنكر حتي إذا غير منه شيء قيل له : غيرت سنه[2]. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاصي قال: قال رسول الله ﷺ : «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ فقلت : إني أفعل ذلك قال : فإنك إذا فعلت ذلك هجعت عيناك وتعبت نفسك، ولكن أعط لعينك حقاً ولنفسك حقاً ولأهلك حقاً، قم ونم وصم وافطر»[3]، وأمره أن يصوم صيام داوود، كان يصوم يوماً ويفطر يوما، وأن يقرأ القرآن في شهر أو في شهرين أو أسبع[4]، ولا يزيد، وهم يثنون اليوم على من يختم ختمة في اليوم. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه عليه السلام نهى عن الوصال فقال رجل من المسلمين وإنك تواصل، فقال : «وأيكم مثلي إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقين»[5]. ومنهم من يرى أن حركاته وسكناته بالله، وأن كل خاطر

---

(1) في «ر» : يرى

(2) في «ر» : السنة

(3) الحديث : صحيح مسلم كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به..، رقم : 1159

(4) ولعله كان يعني : أن يقرأ القرآن في شهر أو شهرين أو سبعة أشهر.

(5) الحديث : رواه البخاري عن عبد الله بن عمر في كتاب الصوم، باب الوصال، رقم 1861، وكذلك مسلم في باب النهي عن الوصال في الصوم، رقم 1102 .

يخطر بباله من عند الله، وينكر الشيطان والملك والنفس، فيخرج إلى الاتحاد[1] وهو من أقوال النصارى. ومنهم من يقول الناطق في كل شيء هو الحق ولا أرى[2] إلا الحق، والأجسام حجاب عليه، فيخرج إلى الحلول[3] وهو اعتقاد النصارى في المسيح عليه السلام. ومنهم من يرى أن الحق قد سرى في كل شيء وينكر الروح وغيره، وهو مذهب فرقة تقول بالحياة السارية في الموجودات. ومنهُم من يرى أن العرش والكرسي بما فيهما في جهة والحق تعالى يحرك الكل بلا واسطة فاعتقد التحيز وراء العالم، وهو مذهب المجسمة[4]. ومنهم من يرى ألاَّ فِعْلَ للعبد البتة وينكر العبودية والتكليف وهو مذهب الجبرية. ومنْهُم من يرى أن الحق تعالى هو الظاهر على الاطلاق والباطن على الاطلاق، وما

---

(1) الاتحاد : هو تصبير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعداً، ومعناه عند القوم : هو شهود الحق الواحد المطلق، الذي الكل موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودا به، معدوما بنفسه، لا من حيث إن له وجوداً خاصاً اتحد به، فإنه محال. أنظر : التعريفات للجرجاني ط 1 دار الفكر 1418هـ / 1997م .

(2) في «ر» : أقول.

(3) الحلول : فكرة صوفية تجزم بأن الحق اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية، وأزال عنها معاني البشرية. ونظرية الحلول قريبة من الفكرة المسيحية القائمة على اتحاد اللاهوت والناسوت في شخص المسيح.
وتعبر حلولية الحلاج (ت 309هـ) أشهر نظرية في تاريخ التصوف الإسلامي والتي يمكن تلخيص مضمونها في البيتين التاليين :

مزجت روحي في روحك كما ... تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني ... فأنا أنت في كل حال

(4) في «ع» و«ق» : المتجسمة.

(5) الجبرية : من الجبر، وهو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى، والجبرية : اثنان : متوسطة، تثبت للعبد كسبا في الفعل كالأشعرية، وخالصة أو متطرفة، لا تثت، كالجهمية.
أنظر التعريف نفس المرجع.

سواه عدم محض وهو مذهب فرقة من الصابئة[1] قد تركوا العبودية. ومنهُم من يرى أن التكاليف ووظائف العبادات والأعمال على أرباب الدنيا خاصة، ولا يرون بجهاد ولا بذبح حيوان ولا إيلامه ولا يقطعون نباتا، وهو مذهب فلاسفة الهند. فهذه طرق[2] خارجة[3] عن طرق القوم، وأكثرها خارج عن الطريقة السنية التي شرف الله الفقراء باتباعها، فإن قيل اقتصرت بالفقر على المتجردين والله تعالى يقول: ﴿يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾[4]، قلنا ذكر الله الفقر عاما في هذه الآية وخاصاً في قوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين﴾[5] و﴿للفقراء الذين أحصروا﴾[6]، و﴿إنما الصدقات للفقراء﴾[7]، فمن لا يملك مالا أخص بالفقر من جهة الأولوية، والناس فقراء من حيث لا يملكون شيئا ولا يلجئون في أمورهم لغير ربهم، والفقر عن شيء فهو غنى عنه، وكل من زاد احتياجُه للأشياء زاد فقره وإن كان غنياً، وكل من كثر استغناؤه عن الأشياء زاد غناه وإن كان فقيراً. وَمِنْ هنا قيل الفقيرُ الصابر هو الغني الشاكر، وكما يعود الفقير غنياً، فكذلك يعود الغني فقيراً وقال عليه السلام: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»[8]، يعني التجريد والزهد، وقال «القناعة كنز لا ينفذ»[9]، فأي

---

(1) الصابئة: طائفة مشهورة تعتقد بالوسائط الروحانية بين الله والعالم، وهي مدبرة الكون، كما أنهم مذهب مزيج من اليهودية والمجوسية كما يذكر البيروني.

(2) في «ر»: الطروق

(3) في «ق» و«ع» و«ر»: من

(4) فاطر: 15

(5) الحشر: 8

(6) البقرة: 273

(7) التوبة: 60

(8) الحديث: رواه البخاري عن أبي هريرة، كتاب الرقاق، باب: الغنى غنى النفس، رقم 6081.

(9) الحديث: أشهر ألفاظه: «القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى»، وورد في المعجم الأوسط للطبراني بلفظ: مال لا ينفذ، عن جابر بن عبد الله رقم 9622، وهو من الأحاديث الضعاف.

غنى أغنى ممن استغنى عما سوى الله، وأي فقر أفقر ممن افتقر إلى كل شيء. فإن قيل فقر المتجردين اضطراري، قلنا العالم كله مضطر لا اختيار فيه لأحد مع الله تعالى، فإن قيل إنما قصد المتجردين بترك الأسباب للراحة، قلنا لا راحة مع العبادة ومعاناة الفقر والحر والبرد والأسفار وضيق العيش في أكثر الأوقات مع شدة انكار الناس عليهم ومطالبة بعضهم لبعض.

## خفاؤهم عن الناس

قال عليه السلام : «رُبّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره»[1]. ومعلوم أن العصمة لم تثبت إلا للنبيين والرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن غيرهم يصيب ويخطيء ويذنب ويتوب، ولكن لما سطرت مناقب الرجال وكراماتهم و لم تذكر سيئاتهم، وقدم العهد بهم، ظن أكثر الخلق أن ليس لهم سيئات ؛ وقد كان لهم في أزمانهم المحبُّ والمبغضُ والمسلم والمنتقد. يُروى أن "الزبرقان ابن بدر" لما دخل على النبي ﷺ مع صاحبه وأثنى عليه صاحبه قال "الزبرقان" : "إنه يعلم أكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي"، فغضب الرجل وذم الزبرقان فتغير وجه النبي ﷺ فقال : يا رسول الله رضيت فقلت أحسن[2] ما عملت، وسخطت فقلت أقبح ما عملت، ولئن صدقت في الأول ما كذبت في الثانية. فقال عليه السلام : «إن من البيان لسحر فمن يرضى يقول أحسن

---

(1) الحديث : رواه الترمذي عن أنس في كتاب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك رقم 3854.

(2) في «ر» : احتسن

ما يعلم ومن يسخط يقول أقبح ما يعلم»[1]. وقد رأى أولئك في أزمانهم من الأذى والتنقص وإساءة الظن بهم ما كان يقصر عنه صبر غيرهم. وقد أخرج أبو يزيد البسطامي[2] من بسطام مراراً، ووفع الشبلي[3] والخواص[4] والثوري[5] السلطان، وتستر الجنيد[6] بالفقه حين ضيق عليه الفقراء. وقبض على الحلاج[7] وضرب ومثل به وقتل، على أنه ساحر زنديق. وكان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يؤذون

---

(1) الحديث : رواه البخاري عن ابن عمر في كتاب النكاح، باب الخطبة رقم 4851.

(2) أبو يزيد البسطامي : وهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، كان جده مجوسيا أسلم، وكانوا ثلاثة إخوة ك آدم، وطيفور، وعلي. وكلهم كانوا زهادا وعبادا، وأبو يزيد كان أجلهم حالا توفي حوالي 261هـ أو 264هـ في رواية أخرى، من أقواله المأثورة : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئا أشد علي من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت، واختلاف العلماء رحمته إلا في تجريد التوحيد.
أنظر الرسالة القشيرية ص 13 ـ 14، دار الكتاب العربي دون تاريخ.

(3) الشابلي: وهو أبو بكر الشابلي، أحد أئمة العلماء والصوفية توفي سنة 1053م. وله كرامات حسب ما أورده صاحب كرامات الأولياء. ج 1، نفس المرجع.

(4) الخواص : وهو أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد الخواص، من أقران الجنيد والنوري، وكما يحكي القشيري، أن له في التوكل والرياضات حظ كبير. من أقواله المأثورة ك دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء الباطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين. مات بالري سنة 291هـ. أنظر الرسالة القضيرية ص 24.

(5) الثوري : هو سفيان بن سعيد الثوري، من أئمة أهل الحديث (97هـ ـ 161هـ) جمع بين العلم والورع.

(6) الجنيد : هو إمام الصوفية (السنيين) أبو القاسم الجنيد بن محمد جمع بين الشريعة والحقيقة توفي سنة 297هـ، أنظر أخباره في : طبقات السلمي ص 133 والحلبة رج 10/ص 255، والرسالة ص 24 .

(7) الحلاج : هو الحسين بن منصور الحلاج. قتل ببغداد سنة 309هـ. صحب الجنيد والنوري وغيرهما. وسبب تسميته بالحلاج كما يذكر النوري أنه قعد على دكان حلاج (والحلاج من حرفته حلاجة القطن أي ندفه واستخراج حبه) وذهب صاحب الدكان لحاجة ثم رجع فوجد القطن غير المحلوج في المخزن محلوجا، فاشتهر بذلك.
أنظر جامع كرامات الأولياء ح 2 ص 43 .

(8) في «ع» و«ر» : مؤذون وكذبون.

ويُكَذِّبُون[8] ويقتلون كيحيى وزكرياء عليهما السلام قتلا على أنهما أفسدا في شريعة موسى، وفي التنزيل ﴿وكأي من نبي قتل﴾[1]، ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين﴾[2]، ولابد للأولياء مما ابتلي به الأنبياء وراثة، والمنقطع عن الناس ضعيف لأنه إما أن ينقطع ليسلم منهم أو ليسلموا منه، والأولى الدخول فيهم فمن كان كاملا كمل غيره، ومن كان ناقصاً تكمل من مشايخهم وعلمائهم. وقد قال لقمان لابنه : "يا بني زاحم العلماء بركبتك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون كلا على الخلق، وصُم صوماً يكسر شهوتك، ولا تصم صوماً يضر بصلاتك، فإن الصلاة أفضل من الصوم، وكن لليتيم كالأب وللأرملة كالزوج، ولا تجاف الغريب ولا تجالس السفيه، ولا تخالط ذا الوجهين البتة". وخرج عابد من بني إسرائيل عن الناس إلى الصحراء على قدم التوكل وأقسم ألا يطعم حتى يطعمهُ الله فبقي أياماً حتى أشرف على الهلاك فجاءه ملك وقال : إن الله تعالى يقول لك وعزّتي وجلالي لا أطعمتك حتى تدخل[3] بين الناس، أتريد أن أفسد حكمتي في خلقي بتوكلك ؟! فتاب ودخل بين الناس. والله سبحانه هو الذي يطعم بين الناس في الفيافي، وفي الخبر: «المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف»[4]. وفي الموطأ أنه عليه السلام قال : « إن الشيطان يهم بالواحد وبالاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم»[5]. فالانقطاع ضعف،

(1) آل عمران : 146

(2) الفرقان : 21

(3) في «ر» : تكون

(4) الحديث في مسند أحمد، كتاب أبي مالك سهل بن سعد الساعدي باب حديث أبي مالك رقم 22333.

(5) الحديث : في الموطأ كتاب الاستذذان، باب ما جاء في الوحدة في السفر للرجال والنساء، رقم 1765.

ومخالطة الناس والصبر عليهم قوة، والتعمق في الدين منهيٌّ عنه، والتصنع مكروه. وفي الخبر «البذاذة[1] من الإيمان» وهي التقشف. والوليُّ عند الناس من لا يمزح ولا يضحك ولا ياكل الطّيب وهذه بدع، كان عليه السلام يمزح ويضحك ويأكل الطيب إذا وجده، روى المقدسي أن رجلاً قال: يا رسول الله أحرق بطوننا التمر، فرقي المنبر، فقال: «والله لو وجدتُ خبزاً أو لحما لأطعمتكموه»[2]. فمن أراد أن يعرفهم فليسلك طريقهم، فلا يعرف الفقير إلا الفقير، ولا يعرف الولي إلا ولي مع أن فيهم المبتديء والمتوسط والسالك رضي الله عنهم:

تجرد إن أردت ترى الرجالا ... ودع عنك التوهم والمحالا
ومارس عصبة التجريد تلقى ... رغيد العيش عندهم الكمالا
ولا تك كالجهول بهم إذا ما ... رآهم قال[3] سكنوا الجبالا
اتقنص المعارف بالبراري ... من الأوهام لا واللّه لا لا
وما يجدي ركوبك للفيافي ... إذا تلقى به حجرا وصالا

---

(1) في «ع»: البداءة، والحديث في سنن أبي داود رقم 4161 كتاب الترجل.
(2) الحديث: مسند أحمد، كتاب رجل يسمى طلحة، رقم 15558.
(3) في «ق»: قالوا.

## العلم الثالث

# في أصل الانكار عليهم من أين نشأ

أول الانكار على الضعفاء انكار قوم نوح عليه السلام في قوله تعالى : ﴿قالوا أنومن لك واتبعك الأرذلون﴾[1]، أي الفقراء والضعفاء، ولما طالبوه بطردهم، قال ما حكى الله عنه : ﴿ومن ينصرني من الله إن طردتهم﴾[2]. وقال : ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يوتيهم الله خيراً، الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين﴾[2]. وكذلك فعلوا بصالح وشعيب وعيسى وغيرهم من الرسل عليهم السلام. وقد فعلوا ذلك مع النبي ﷺ فنزل : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾[3]. حسبما تقدم في العلم الأول، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري أنه عليه السلام قال : «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم»[4]. فأخبر أن ما فعله[5] من قبلنا من الأمم من الإنكار موجود فينا، فالانكار

(1) هود : 30

(2) هود : 31

(3) الأنعام : 52

(4) الحديث : ورد في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصاري، الحديث رقم 2669.

(5) في «ر» : فعلوا.

على صفوة الله لايزال يتوارث. ولما اجتمع بباب عمر رضي الله عنه فقراء المهاجرين وأشراف العرب، مثل "عيينة بن حصن" و"الأقرع بن حابس" و"العباس بن مرداس" وغيرهم، خرج إذنه لبلال وصهيب وسلمان فتغيرت وجوه القوم، فقال سهل[1] بن عبد الله : "وما لكم تتغير وجوهكم، دعوا ودعينا فاسرعوا وأبطأنا، وإن حسدتموهم على باب عمر فما أعد الله لهم في الجنة أكثر".

والمنكرون على الفقراء ثلاثة أصناف : أرباب الدنيا وأتباعهم، والجاحدون من الفروعية وأتباعهم، والمتعمقون في الأعمال أو المتنمسون وأتباعهم.

فأما أرباب الدنيا فإن الفقراء أضداد لهم لرثة ثيابهم وقلة جاههم، والضد يبغض ضده، والدنيا تورث القساوة وطول الأمل، و﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[2]، وأتباعهم يمشون في مرضاتهم وقالوا : ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا﴾[3]. وأما الجامدون من الفروعية فإنهم يعتقدون الإحاطة بالشريعة وينكرون على من ترك طريقهم وتتبعهم العوام على ذلك. والإحاطة بالشريعة متعذرة، وقدْ أنصف مالك رحمه الله حين قال له الرشيد : "أريد أن أحمل الناس على الموطأ، فقال : لا، فإن الصحابة تفرقوا في الأمصار وعند كل واحد منهم علم".

والفقه في اللغة الفهم، ولا يكون إلا في القرآن والحديث. وحقيقة الفقه ما أدى إلى ترك الدنيا وطلب الآخرة، وأما المتعمقون في

---

(1) في «ر» : سهيل

(2) الآية : آل عمران : 185

(3) الآية : الأحزاب : 67

الأعمال المتنمسون ففتنهمُ الشيطان برؤية الأعمال، وجعلهم يزيدون أعمالاً قد نهوا عنها، فعظمهم الناس فهم يبغضون الفقراء لأن الفقراء لا يتصنعون. الفقير إذا عمله أشرك، وإذا رأى أنه قد أخلص احتاج إلى إخلاص يخلصه من شرك نفسه. فمن لم يتحذق في العلوم ولا حفظ الأحاديث النبوية والسنن المأثورة واشتغل بما لا يعنيه أنكر عليهم، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. وقد ذهب الفقراء والصوفية مذهب أهل القرآن والحديث، وعلومهم مكارم الأخلاق التي بعث عليه السلام ليكملها[1] ويتممها، وعامة الخلق مطلوبون بها وفي الحديث: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2]. وليست بالفقير حاجة إلى الفروع إلا قدر ما يعرفه كافة الناس وهو أمر قريب، قال رحمه الله: إن الله جعل الدنيا لِتَزَوُّدِ الآخرة، فلو أخذ الناس بالعدل فيها ما احتاجوا إلى خصومة وحكم، وشأن الإنسان أن ينكر ما خالف عادته أو طريقته والوقوف مع ذلك حرمان:

أرى العوائد قد عظمت[3] على السنن — وأخرجت أهلها عن سيرة السنن
وينكرون مباحا باشتغالهم — وهم يخوضون في بحر من الفتن

(1) في «ر» ليتكملها.
(2) الحديث: من بلاغات مالك في الموطأ، رواه في كتاب حسن الخلق باب: ما جاء في حسن الخلق، رقم 1609.
(3) في «ع» و«ق»: غطت.

## العلم الرابع

# في الانفصال عما أنكر عليهم

كل ما ينكر عليهم فله أصل في الكتاب والسنة والعمل الصالح، وذلك نحو سبعين أمرا، وهي التجرد، والتقشف، وترك الأسباب، والسؤال، والمشي بالزنبيل، وحلق الرأس، والحفا، ولباس الصوف، ولباس الشعر، ولباس المرقعة، ولباس العباء[1]، ولباس الفرجية، ولباس المزند[2]، والشرشوح، والملحفة، والإزار على المنكبين، والعصابة، والرقاع الملونة، والخياطة بالخيوط الملونة، وحمل الإشارة والقضيب، وحمل العقافة[3]، وكثرة السفر وترك الوطن، والتغميز[4] عند التعب، والخروج عن المال، وترك الادخار، والسكنى في المسجد والنزول فيه، والنوم في المسجد وعلى القبور، والاستلقاء على الظهر في المسجد، والأكل في المسجد، وانشاد الشعر في المسجد، والرقص في المسجد، واستماع الغزل من الشعر، والنظافة والخضاب، والطيب، والسواك، والتبخر بالعود، والخضرة بالرياحين وقنديل الزجاج، وخلطة الشباب، وقبول الشاب إذا جاء، والاشتراط عليه المزاح : الضحك

---

(1) في «ر» : العباة

(2) في «ر» : الزند : والمزند هو الثوب قليل العرض، لسان العرب.

(3) العفافة : وهي المحجن، وهي عصى معقوفة الرأس أي معوجته.

(4) في «ر» : التعمير

البسط مع الصغار، والبسط بالطعام : خطف الفاكهة، السباق، السباحة في الماء، استعذاب الماء، أكل الطيبات الحلاوة، مداومتهم على التريد، الاتكاء الميل للرخص، قلب الأسماء القبيحة للحسنة، مداراة الناس، قيام بعضهم لبعض، قسمة شعر المحترمين بينهم، حط الراس عند الزيارة سرور،و[2] استغفار الشكرانة شكرانة القدوم، الزامهم أكثر من الشكرانة من امتنع[3] منها، إلزامهم الشيء من لَفَظَ به، أخذهم الضيافة قهرا من مانعها. استخراج الراحة من كريم أو بخيل. طرح الخرق، المطالبة وسببها مطالبة صاحب الدعوى، مطالبة[4] من تأول الكلام على الظن، مطالبة ناقل الكلام، مطالبة الفقيرين إذا تنافسا، مطالبة من منع واجباً. القعود في الوسط لأخذ القصاص أو الحق[5]، الاستغفار قائماً، قولهم عند الخطأ نستغفر الله، قولهم الفقير أولى بخرقته، قولهم إذا خرجنا عن شيء لا نعود إليه، قولهم الصلاة عند الاجتماع، التكبير على من حاد عن الحق، هجران من لا يوافق من غير عذر، ضرب من عدل عن الحق، وصف الرجل بما فيه عند المشورة[6] أو التحذير منه، القيام للكلام إذا كان الجمع كثيراً، الكناية في الكلام، الرمز في الكلام، الإشارة والتعريض في الكلام، الصلاة في النعال، الصلاة في الثوب الواحد، تركهم الرقى والتمائم والعزائم والطب، تقليبهم الذهب وشِبْهَهُ بالعود، قبول الفتوح من النساء، زيارة النساء.

---

(1) في «ر» : تستتر

(2) في «ر» : أو

(3) في «ر» : اقتنع

(4) في «ر» و «ق» : مطاولة وهي خاطئة

(5) في «ع» : الحد

(6) في «ق» و «ر» : الشورة

فأما التجريد ويقال التجرد فقال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿فاخلع نعليك﴾[1]، وفيه إشارة إلى التجرد عن عالم الخلق وعالم الأمر وقال تعالى : ﴿زُيِّنَ للناس حب الشهوات﴾[2] الآية، وذكر عن مصعب بن عمير ـ بالتصغير ـ أن النبي ﷺ رآه وعليه إهاب كبش فقال : «انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يختال في حلة قد اشتريت له أو اشتراها بمائتي درهم فمازال به حب الله ورسوله حتى صيره إلى ما ترون»[3]. ورأى عمر رضي الله عنه الشريط قد أثر في جَنْبِ رسول الله ﷺ لما اضطجع، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي، وكان أهل الصُّفة في زمانه متجردين:

يا حسبي اللّه ما للناس أَكْثَرِهِمْ ... قد أنكروا الزهد والتجريد والورعا
سَمُّوا طريق أولي التوفيق صعلكة ... وسُنَّةً لقبوا الأهواء والبدعا

وأما التقشف فكان عليه السلام يحب التقشف ويكره السرف. وقال : « البذاذة من الإيمان»[4]، وكان ذلك شأن الصحابة كأبي بكر وعمر وعلي وأبي ذر وأبي الدرداء وغيرهم. وقد نعى الله على قوم شهواتهم : ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾[5]. والدنيا الاهتمام بتدبير الجسم وملذاته، والعمر أعز من أن ينفق في ذلك. ولما كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري أن يَقْدَمَ عليه بِعُمَّالِهِ ويستخلف

---

(1) طه : 12

(2) آل عمران : 15

(3) الحديث : رواه البيهقي في شعب الإيمان كتاب الملابس الحديث رقم 6189

(4) وارد في لسان العرب (بذذ). والحديث سبق تخريجه، انظر ص 71.
والبذاذة كما جاء في لسان العرب هي : رثاثة الهيأة.

(5) الأحقاف : 20

من ثقاتهم، قال الربيع بن زياد : "وكنت من عُمَّال أبي موسى، فسألت أي الهيآت أحبُّ إلى أمير المومنين ؟ فقيل : الخشونة، فاتخذت خفين مطارقين أي مرقعين ولبست جبة صوف وجعلت عمامة دكناء، فلما دخلنا عليه صفنا بين يديه وجعل يُصْعِدُ فينا بصره ويصوب فلم تأخذ عينُه أحداً غيري فدعاني وقال لي : من أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثي، قال : ما تتولى من أعمالنا ؟ قلت: البحرين، قال : فكم ترزق ؟ قلت : خمسة دراهم في اليوم، قال : ما تصنع بها ؟ قلت : أتقوت منها شيئا وأعود بالباقي على قرابة لي، فما فضل فعلى فقراء المسلمين. قال : لابأس ارجع إلى موضعك، فرجعت ثم صَعَّدَ فينا بصره وصوّب ثم دعاني فقال : كم سنك ؟ قلت : ثلاثا وأربعين سنة[1]، قال : الآن حين استحكمت، ثم دعاني بالطعام وأصحابي حديث[2] عهد بلين العيش، وكنت قد تجوَّعْتُ له فجيء بخبز يابس وأكسار بعير يعني عظاما منه قليلة اللحم، فجعلت آكل وأجبذ وأصحابي يعافون[3] ذلك وهو يلحظني[4] من بينهم، فأمر أبا موسى أن يُقِرَّني[5] ويستبدلهم". والتقشف سيرة السلف الصالح. قال الحسن البصري : "إن كان يغنيك ما يكفيك فأقل ما في الدنيا يغنيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا ما يغنيك. عليك إن شئت أن ترقى إلى العلا بالتقشف فهو البذاذة والزهد وهو أصل التصوف".

---

(1) والصواب ثلاث وأربعون سنة

(2) في الأصول (ع) و(ر) و(ق) : حديت

(3) في «ق» : يعابون

(4) في «ر» : يلطخني

(5) في «ر» : يقربني

وأما ترك الأسباب فقال تعالى : ﴿وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[2]، وفي الصحيحين أن أهل الصُّفة لم يتسببوا ولا اشتغلوا بغير الذكر والفكر والقعود في المسجد، وكان القراء يخدمونهم، والنبي ﷺ وأصحابه يطعمونهم، وقال لهم : «ابشروا يا أهل الصفة»[3]. فترك التسبب طريقة أقرّها النبي ﷺ، ولم يَصِحَّ أنه أمرهم بالتسبب وإنما أمر بالتوكل وَخَيَّرَ في السبب. والفقراء غابوا عن السَّبَبِ بالمُسَبِّبِ ثم غابوا عن عالم الخلق بمطالعة الحق. وأما السؤال فقال تعالى : ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾[4]، وقال عليه السلام : «لو كانت الدنيا مَرْجَةَ دم لكان قوت المومن منها حلالاً»[5]. وفي الموطأ عن زيد بن أسلم أنه عليه السلام قال : «أعطوا السائل وإن جاء على فرس»[6]، وفيه أنه قال : «لا تصح الصدقة لغني إلا لخمسة : لغاز في سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني»[7]. والمسكين هو الفقير، قال مالك وأصحابه : "المسكين أحوج من الفقير لأن الفقير له بُلغة من العيش والمسكين لاشيء له"، قال تعالى : ﴿أومِسكينا ذا متربة﴾[8]، ورُوِيَ ذلك عن ثعلب

---

(1) طه : 132

(2) الطلاق : 65

(3) الحديث : رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد.

(4) الضحى : 93

(5) الحديث : لم نعثر عليه.

(6) الحديث : الموطأ، كتاب الصدقة، رقم 1808.

(7) الحديث : سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب كتاب الزكاة، رقم 1635.

(8) البلد : 90

والفراء وكذا قال الشافعي والنَّخَعِي والزّهري وسفيان الثوري وعمرو[1] بن دينار. وروي أيضا عن الأصمعي أن الفقير أحوج من المسكين لقوله تعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾[2]، فسماهم مساكين ولهم سفينة، وقال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾[3]، فالفقير والمسكين في الآية صنفان. وقال ابن حبيب: "الفقير[4] من له دينار إلى مائة، لأن الزكاة يعطى منها من له دار وخادم فله بُلغة من العيش، والغني من له ألف دينار فأزيد لأن الألف أقصى مراتب الحساب، ومن الألف يرجع الحساب إلى أوله، والألف هو المال المعدود، والمتوسط من له نصف الألف، والمسكين من لا شيء "له". وقال يونس لأعرابي: "أفقير أنت؟ قال: لا بل مسكين". وكان إبراهيم بن أدهم يسأل بعض الأوقات.

وأما المشي بالزنبيل فهو طريقة استخرجها المشايخ من السنة، وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: «شهدت مع النبي ﷺ الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن، وقال تصدقن فإن أكثركن حطبُ جهنم، فقامت امرأة من وَسْطِ النسآء سفعاء الخدين متغيرتهما بالسواد فقالت: لم يا رسول الله فقال: لأنكن تكثرن الشكاية وتكفرن

(1) في «ر» و«ق»: عمر
(2) الكهف: 18
(3) التوبة: 9
(4) ساقطة في «ر»

العشير»[1]. فجعلن يتصدقن من حِلِيهِنَّ، يلقين في ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن. زاد أبو داوود : فقسمه على فقراء المسلمين. وفي صحيح البخاري في هذا الحديث : «أنه عليه السلام أتى النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة وبلال خلفه يأخذ في ثوبه كلما ألقى إليه»[2]. فالفقراء إذا يجتمعون في المسجد كأهل الصفة. وخرج فقيران أحدهما يذكر والآخر يأخذ في ثوبه أو في زنبيله ما يعطى، ولا يعطى إلا اللقمة، وما لا كلفة فيه، ودخل[3] بذلك الخير على الناس. وعلى الفقراء الراحة، فيأكلون رزقاً من غير سؤال، وما يأكله المذكر من ذلك. والأخذ هدية من الفقراء. وقد أكل عليه السلام من اللحم الذي تصدق به على بريرة وقال : هو عليها صدقة ولنا هدية. وكيفية المشي بالزنبيل أن يتوضأ المتبرع بذلك ويصلي ركعتين، ثم يشد وسطه بمنطقته، وهي المبارنبد[4] عند العجم، ومعنى هذا : مملوك مشدود الوسط، ثم يأخذ الزنبيل بيمينه ويدفعه للذي يكون معه، وهو دونه في الرتبة، بعدما يلقي الشيخ فيه شيئا على سبيل البركة، ثم يمشي ويعظ ويذكر ويحض على الصدقة، ويأخذ الآخر في الزنبيل كل ما يلقى من خبز أو فضة أو لحم أو غير ذلك، ولا يمسه بيده ولا يتصرف في شيء منه، فإذا رجعَ دفعه لخادم الزاوية. والمتطوع بذلك لا يتركه ؛ لأن أحب الأعمال إلى الله أدْوَمَهَا، فإذا لم يكن في البلد فقراء أطعم به المسجونين والمساكين. ومن سأل لنفسه ناقص عندهم، إلا بعد أن يبقى ثلاث لا شيء له. والفقراء في السؤال

---

(1) الحديث : صحيح كسلك، كتاب صلاة العيدين، باب ترك الصلاة قبل العيد وبعدها في المصلى رقم 835.

(2) الحديث : كتاب العيدين، باب خروج الصبيان، رقم 932.

(3) في «ق» و«ر» : وأدخل

(4) في «ر» : المبان بند

ثلاثة أصناف : منهم من يسأل ويأخذ، لما في صحيح مسلم عن قبيصة، بفتح القاف وباء بعدها مكسورة، ابن مخارق، بضم الميم، الهلالي، أن النبي ﷺ قال : «يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجال : من تحمل حمالة حلت له المسألة حتى يقضيها ثم يمسك. ورجل أصابته جائحة أجاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، أو قال سواداً من عيش. ورجل أصابته فاقة، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال سداداً من عيش. فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت ياكلها صاحبها سحتا»[1]. ومنهم من لا يسأل ولا ياخذ، لحديث "ثوبان" وهو أنه عليه السلام قال : «من يتقبل لي بواحدة أتقبل له بالجنة. فقال ثوبان : أنا يا رسول الله. قال : ألا تسأل الناس شيئا»[2]. فكان ثوبان إذا سقطت علاقة سوطه لا يسأل من يناولها إياه. ومنهم من لا يسأل ويأخذ وهو الأحسن لقوله عليه السلام : «ما أتاك من غير مسألة فخذه وأكل الوارد مما يتصدق به عليهم جائز»[3]. ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة : قال : «كان عليه السلام إذا أوتي بطعام سأل عنه : صدقة أم هدية ؟ فإن قيل صدقة، قال لأصحابه كلوا و لم ياكل معهم»[4]. وسؤال الفقير السلطان والأمراء جائز لما روى «أبو داوود» عن سمرة بن جندب أنه قال عليه السلام : «للسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه يجرحه، فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلاّ أن يسأل الرجل ذا سلطان،

---

(1) الحديث : صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة رقم 1044.
(2) الحديث : سنن البيهقي، كتاب الزكاة، باب كراهية السؤال، رقم 7967.
(3) الحديث : مسند أبي يعلى، كتاب مسند عمر بن الخطاب، رقم 167.
(4) الحديث : صحيح البخاري، كتاب الهبة وفصلها، باب قبول الهدية رقم 2437.

في أمر لا يجد منه بداً»[1]، وسُئل عثمان رضي الله عنه عن جائزة[2] السلطان فقال لهم : لحم طري ذكي. وقال رجل لعكرمة وقد رأى عمامته متخرقة فقال : ألا نبعث لك بعمامة قال : إنما نقبل من الأمراء. وقال رجل لإبراهيم بن أدهم[3] : اقبل مني هذه الجبة، فقال : إن كنت غنياً قبلت منك وإن كنت فقيرا لم أقبل منك. وقال هشام بن حسان : رأيت على الحسن البصري خميصة أهداها له مسلمة ابن عبد المالك .وقبل النبي ﷺ هدايا الملوك العرب والعجم. وقبل عبد الله بن عمر هدية المختار وكان من أمراء الفتنة. وقبل "مالك" هدية المنصور والمهدي والرشيد. والفقراء إنما يأخذون من الأغنياء بعض حقوقهم، فإن لهم في الزكاة سبعين سهم، لأنهم فقراء، وسهم لأنهم أبناء سبيل. وقسم "زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب" أمير افريقية مالاً على الفقهاء، فأخذه بعض و لم يأخذه بعض فعض زيادة الله على الآخذين فقال أسد بن الفرات : إنما أخذنا بعض حقوقنا. والفقراء لا يرون الأخذ إلا من الله والأدمي آلة، والذي يعطي ويمنع هو الله سبحانه. ويرون أن اليد العليا هي يد السآئل لا يد المعطي، لما في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه عليه السلام قال : «ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمان بيده بل بيمينه وإن كانت تمرة تربى في كف الرحمان حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه، أو فصيله»[4]. ونهى عن السؤال إذا كان عند السائل ما يغنيه، أو يكون يسأل إلحافاً أو يتخذ

---

(1) الحديث : سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب كم يعطي الرجل من الزكاة رقم 1639.

(2) في «ر» : جابرة

(3) إبراهيم بن أدهم : توفي سنة 162هـ في جبلة من سواحل بحر الشام. عن أخباره وكراماته، أنظر : الرسالة القشيرية، وجامع كرامات الأولياء. حرف الألف.

(4) الحديث : في الموطأ، لكن بصيغة أخرى، كتاب الصدقة، رقم 1806.

السؤال حرفة، أو يكون قد قبل قدر الحد الذي حدته الشريعة، أو يكون المسؤول لا شيء له، أو يكون قد أعطى ويعوزه ما يعطى. وفي الموطأ عن أبي سعيد الخدري : «أن ناساً من الأنصار سألوا النبي ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده ثم قال : ما يكون عندي من خير فلم أدخره عنكم، ومن يستعفف منكم يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء هو خير وأوسع من الصبر»[1]. وأما حلق الرأس ففي التنزيل : ﴿محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون﴾[2].

والسرّ في حلقه في الحج التذلل وترك الزينة، وهو سيرة الفقراء مع ما في حلقه من ترك المونة، والخفة في الطهر، وإزالة المؤذي. وكان أكثر السلف يحلقون رؤوسهم، وحلق علي رضي الله عنه رأسه بالموسى. وفي االإحياء، لابأس بحلقه لمن أراد النظافة.

وأما الحفا قال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿اخلع نعليك﴾[3] إشارة إلى الحفا. وقال عليه السلام : «اخشوشنوا وامشوا حفاةً»[4]. وكان الصحابة رضي الله عنهم يمشون حفاة في الطين وغيره، ويدخلون المسجد ويصلون ولا يغسلونه. ذكره في المدونة. وقال "القضاعي" عن "وهب بن منبه" : أن "صالحاً" عليه السلام كان يمشي حافيا. وكان أهل الصُّفة يمشون حفاة. وقال عمر : "انتعلوا واختلفوا في الحفا، إشارة إلى رفض الكونين".

(1) الحديث : كتاب الصلاة باب ما جاء في التعفف عن المسألة، رقم 1812.
(2) الفتح : 27
(3) طه : 12
(4) الحديث : في شرح معاني الأثار للطحاوي 275/4.

وأما لباس الصوف فقال أنس : «كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف»[1]. وقال عليه السلام :« يوم كلم الله موسى كانت عليه جبة صوف وكمّة صوف، ونعلا من جلد حمار غير ذكي»[2]، رواه ابن مسعود. والكمة، بضم الكاف وتشديد الميم، القلنسوة المدورة. وعن "أبي بردة بن أبي موسى" عن أبيه قال: "لو شهدتنا مع النبي ﷺ وقد أصابتنا السماء لحسبت ريحنا ريح الضأن من لبوسنا الصوف".

وأما لباس الشعر ففي صحيح مسلم عن عائشة قالت: «خرج النبي ﷺ ذات غداة باردة وعليه مرط مرحل من شعر أسود. ومرحل بالحاء المهملة. أي فيه صور الرحال، فجاء الحسن بن علي فأدخله، حتى جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[3]».

وأما لباس المرقعة ففي الموطأ عن أنس قال : «رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبّد بعضها فوق بعض»[4]. وقال سفيان الثوري : "كان على عمر إزار فيه اثنتا عشرة رقعة إحداهن من أدم"، بفتح الهمزة والدال، أي جلد. وكان عليه السلام يخصف النعل ويرقع الثوب، وقال لعائشة : « لا تستبدلي ثوباً حتى ترقعيه»[5]. وفي الجواهر التصريفية أن علياً رضي الله عنه قال :

(1) الحديث : كتاب الزكاة باب من يعطي من الصدقة رقم 1634.
(2) الحديث : كتاب الإيمان رقم 76.
(3) الأحزاب : 33 ، والحديث : صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس... رقم 2081.
(4) الحديث : شعب الإيمان، رقم 6182.
(5) الحديث : الترمذي كتاب اللباس ما جاء في ترقيع التوب رقم 1780.

"رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من رقاعها، إلى أن قيل[1] لي ألقها عنك فذو الأتن لا يرضاها لأتنه". وأول من رقع آدم وحواء عليهما السلام. وقال تعالى : ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾[2].

وأمّا لباس العباءة ففي صحيح مسلم عن حذيفة في حديث له قال : «فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها»[3]. وقد تحلق[4] أبو بكر في العباءة. وأما لباس الفرجية فروى "المسور ابن مخرمة" قال : «قدمت على النبي ﷺ أقبية قسمها بين أصحابه»[5] الحديث. والقبا ثوب ضيق مشقوق. وأما لباس المزند وهو ذو الكم الضيق، ولباس المهذّب الذي يسمونه الشرشوح وهو ذو الأهذاب، ففي الموطأ عن "المغيرة بن شعبة" : «أن النبي ﷺ ذهب لحاجته في غزوة تبوك، قال فذهبت معه بماء في ركوة فجاء فسكبت عليه الماء فغسل وجهه الشريف، ثم ذهب يخرج يديه من كمي الجبة فلم يستطع من ضيق كمي الجبة، أخرجها من تحت الجبة فغسل يديه ومسح برأسه ومسح على الخفين»[6]. وخرجه مسلم أيضا عن المغيرة بن شعبة. وورد في لباس ذي المهذب، أن عليا رضي الله عنه قطع من كم قميص ما فضل على أصابعه وترك هذبه، ورئي به يخطب على منبر الكوفة.

---

(1) في «ر» : قال

(2) طه : 121

(3) الحديث : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب رقم 1788.

(4) في «ر» : تحلل

(5) الحديث : كتاب تابع حديث ميمونة رقم 7220.

(6) الحديث : في الموطأ عن المغيرة بن شعبة، كتاب الطهارة رقم 71.

وأما الملحفة والإزار على المنكبين، فروى البخاري عن ابن عباس : «أن النبي ﷺ خرج من مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بعصابة دسماء ملتحفا بملحفة على منكبيه»[1].

وأما الرقاع الملونة فقالت عائشة رضي الله عنها : «دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أرقع ثوبي برقاع أخلاط»[2]. وأما الخياطة بالخيوط الملونة فروى أبو داود عن عبد الله مَوْلَى أسماء بنت أبي بكر قال : "رأيت عمر في السوق اشترى ثوبا شامياً فرأى فيه خيطا أحمر، وأتيت أسماء فذكَرت لها ذلك فقالت : يا[3] جارية ناولني جبة رسول الله ﷺ، فأخرجت جبة طيالسية مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج". وأما حمل الإشارة أو القضيب، فالإشارة المِخطرَة، بكسر الميم وسكون الخاء معجمة وفتح الطاء مهملة، وهي عود أرق من العصا وأغلظ من القضيب، طوله أربعة أشبار أو نحوها يحملها الفقراء في أيديهم ويحملون أيضا السهم، والأصل فيها السترة في الصلاة. روى "أبو بكر بن شيبة" أنه عليه السلام قال : «ليستتر أحدكم لصلاته ولو بسهم»[4]. وكان له عليه السلام مِخْطَرَةٌ وقضيب وعصى وَعَنَزَة، وهي بفتح العين والنون بعدهما زاي. وكانت العرب تحمل المخاطر وتخطب وهي في أيديها ويتخذونها في مجالسهم.

مجالسهم حفظ الحديث وقولهم إذا ما قضوا في الأمر رمى المخاطر
يصيبون فضل القول في كل خطبة إذا وصلوا إيمانهم بالمخاطر[5]

(1) الحديث : صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة... رقم 3429.
(2) الحديث : مسند أحمد رقم 14916.
(3) في «ر» : كذا، وفي «ع» : جارية دون «يا»
(4) الحديث : في سنن البيهقي : «ليستر أحدكم صلاته ولو بسهم» رقم 3555.
(5) في «ر» : البيت محذوف

وقال آخر :

في كفه خيزران ريحه عابق | من كف ان رع في عز لينه شمم
يقضي حياء ويقصي من مهابته | فما يكلم إلا حين يبتسم

وفقراء المشرق يسمون المخطرة مخروطة ويَحَاوِيَّةٌ نسبة إلى اليحا، بفتح الياء، طائفة من السودان يسكنون أرض عيذاب، وهي عندهم عصى من طلح. وأما حمل العُقافة وهي الجُوكان عند العجم، بضم الجيم، والمحِجن عند العرب، بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الجيم، وهي عصى معوجة الرأس من حيث يجعل اليد. ففي الحديث المرفوع : «أنه عليه السلام طاف بالبيت يستلم الركن بمحجنه»[1]. وفي حديث أبي بكر : «أنه أفاض من جمع وهو يحرش بعيره بمحجنه»[2]، أي يحركه ليمشي.

وأما كثرة السفر وترك الوطن فلقوله عليه السلام : «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك في أصحاب القبور»[3]. وقال : «إن المومن يفر بنفسه أي بدينه من شاهق إلى شاهق»[4]، يريد في آخر الزمان. وكثرة أسفارهم فرارٌ عن اعتراض الناس عليهم. وروى النسائي عن عبد الله بن عمرو ابن العاصي قال : «مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال: يا ليته مات بغير مولده قالوا : ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة»[5].

(1) الحديث : في سنن أبي داود أول كتاب المناسك باب الطواف رقم 1879.
(2) سنن البيهقي، كتاب الحج، باب الدفع من مزدلفة، رقم 9606.
(3) الحديث : باب قول النبي كن في الدنيا الرقاق، باب قول النبي رقم 6053.
(4) الحديث : زوائد الهيثمي باب شدة الزمان : رقم 774.
(5) الحديث : النسائي، الجنائز، باب المرء بغير مولده رقم 1832.

وأما التغميز ويسمى التكبيس، فإن عمر رضي الله عنه قال : «دخلت على النبي ﷺ وغلام يغمز ظهره، فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : إن الناقة اقتحمت»[1].

وأما الخروج عن المال فقال تعالى : ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾[2]، وخرج أبو بكر عن ماله كله. ففي الموطأ في الوصية للوارث قال مالك : "ان الرجل إذا كان صحيحا كان أحق بجميع ماله يصنع فيه ما شاء، إن شاء أن يخرج عن جميعه خرج يتصدق به أو يعطيه من شاء". وأما ترك الادخار فقد صح عنه أنه عليه السلام لم يدخر وقال أنس : «كان النبي ﷺ لا يدخر شيئاً لغد»[3]. وعن عائشة رضي الله عنها : «أنه عليه السلام قال لبلال : اطعمنا يا بلال، قال: يا رسول الله ما عندي إلا صبر من تمر خبأته لك، قال : أما تخشى أن يخسف الله به في نار جهنم ؟ أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالاً»[4]. والصبر جمع صبرة من الطعام أو التمر وهو ما يكون منهما في شيء دون وزن ولا كيل. وتقدم حديث عمر بن الحارث في التجريد.

وأما السكنى في المسجد والنزول فيه، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : «أصيب سعد يوم الخندق يعني سعد بن معاذ، فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة[5] في المسجد ليعوده من قريب»[6]. وفي رواية قال : اللهم إن كان بقي من حرب قريش شيء

---

(1) الحديث : الطبراني في الصغير رقم 226.

(2) التوبة : 111

(3) الحديث : الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي رقم 2362.

(4) الحديث : البحر الزاخر كتاب مسند عبد الله بن مسعود، رقم الحديث 1978.

(5) في «ر» : قبة.

(6) الحديث : في صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الخيمة في المسجد رقم 451.

فابقني أجاهدهم، فكيف وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها واجعل موتي فيها، فانفجرت من ليلته فلم يرعهم، وفي المسجد معه خيمة من بني غفار، والدم يسيل إليهم، فقالوا : يأهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم، فإذا جرحه يَغِذ، بكسر الغين المعجمة وبشد الذال معجمة، أي يسيل، فمات منها في المسجد. وأنزل عليه السلام وفد ثقيف في المسجد وقال : «هو أرق لقلوبهم»[1]. و«المسجد بيت كل تقي»[2]. وأما النوم في المسجد وعلى القبور، ففي صحيح مسلم عن ابن عمر قال : «كنت شابا عزبا وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ»[3]. وفي رواية وكنت أبيت في المسجد. وعن سهل بن سعد في حديث ذكر فيه : «إن النبي ﷺ جاء وعليٌّ في المسجد راقد ومضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل يمسح عنه ويقول : قم أبا تراب، قم أبا تراب، فكانت هذه أحب كناة إليه»[4]. وروى مالك أن عليا رضي الله عنه يتوسط القبور ويضطجع عليها. وأما الاستلقاء على الظهر في المسجد ففي الموطأ عن "عباد، بباء موحدة، بن تميم" عن عمه «أنه رأى النبي ﷺ مستلقيا في المسجد واضعا إحدى رجليه على الأخرى»[5]. وفيه أن عمر وعثمان كانا يفعلان ذلك. وأما الأكل في المسجد، فقال عبد الله بن الحارث : «أكلنا مع النبي ﷺ شواء في المسجد»[6]. ونزول ثقيف فيه وأهل الصفة وخيمة سعد بن معاذ وخيمة بني غفار، لاشك أنهم يأكلون فيه، ويسكنون فيه، وينامون.

---

(1) الحديث : سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في خبر الطائف رقم 3026.

(2) الحديث : مصنف عبد الرازق، باب مسألة الناس رقم 20029.

(3) الحديث : صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحافة، باب من فضائل عبد الله بن عمر، رقم 2479.

(4) الحديث : أبواب المساجد، باب نوم الرجال في المسجد رقم 430.

(5) الحديث : أبواب المساجد، باب الاستلقا في المساجد رقم 463.

(6) الحديث : في مسند أحمد، كتاب حديث عبد الله بن الحارث نفس الباب رقم 17249.

وعن أبي هريرة أنهم كانوا يأكلون فيه الشواء ويعركون أيديهم بالحصباء ويصلون. وأما انشاد الشعر في المسجد ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة : «أن عمر رضي الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال : كنت أنشد فيه وفيه خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال : أنشدك الله أسمعت النبي ﷺ يقول أجب عني اللهم أيده بروح القدس، قال : اللهم نعم»[1]. وأما الرقص في المسجد ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : «جاء جيش من الحبشة يزفون في يوم عيد في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فوضعت كفي على منكبه، فجعلت أنظر إلى لعبهم»[2]. قال ابن عيينة : الزف : الرقص. وفي رواية : والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد. وأما استماع الغزل من الشعر، فقد سمع أبو هريرة لبيت شعر[3]، وقال : "كنا ننشد مثل هذا عند رسول الله ﷺ". وكانت العرب تمدح وتتغزل في أشعارها، وتغزل كعب ابن زهير في قصيدته التي مدحه فيها وأولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يعد مكبول

وقال عبد الله بن المغيرة : قلت لسعيد بن المسيب : عندنا رجل من العُبَّاد إذا سمعنا ننشد الشعر صاح علينا، قال نسك نسكا عجيبا. وكانت عائشة رضي الله عنها تروي ألف بيت من الشعر.

وأما النظافة ففي التنزيل : ﴿قل منْ حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾[4]. وقال عليه السلام : «أحب الزينة ولو في شراك النعل»[5]. وقال عمر رضي الله عنه : "إني ليعجبني القارئ النظيف"، أي النقي،

---

(1) الحديث : صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت رقم 2485.
(2) الحديث : مسلم، كتاب صلاة العيدين باب الرخص في اللعب رقم 892.
(3) في «ر» : محذوفة.
(4) الأعراف : 32
(4) الحديث : رواه عبد الرزاق في كتابه الجامع باب الأكل متكئا رقم : 19551.

والقارئ هو العابد أو قارئ القرآن، فالنظافة سنة هي غسل البدن والثوب وإزالة الفضلات والأوساخ عن الرأس والأذن والأنف والأسنان والأثاث، وقص الشارب والأظفار ونتف الابطين وحلق العانة، ووقت فيها أربعون يوما.

وأما الخضاب ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»[1]. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن عثمان بن عبد الله ابن موهوب قال : «دخلنا على أم سلمة فاخرجت لنا شعراً من شعر النبي ﷺ مخضوباً»[2]، زاد ابن أبي خيثمة، بالحناء والكتم. وروى أبو الدرداء عن أبي رِمثة، بكسر الراء، قال : «انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ فإذا هو ذو وفرة وبها ردع من حناء وعليه بردان أخضران»[3]. وروى مسلم عن ابن سيرين قال : «سألت أَنساً عن الخضاب فقال : كان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم، وكان عمر يخضب بالحناء بحتا، أي خالصا»[4]. وفي الموطأ أن عائشة أخبرت : «أن أبا بكر كان يخضب»[5].

وأما الطيب والسواك ففي صحيح البخاري عن أنس : «أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب»[6]، وفي سنن أبي داود عن أنس قال : «كانت للنبي ﷺ سُكَّة يتطيب منها»[7]، والسُّكة، بضم السين مهملة وشد الكاف، واحدة السُّك وهو طيب مجموع يتطيب منه». وقال ابن عمر :

(1) الحديث : أبو هريرة، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم 3275.
(2) الحديث : صحيح مسلم، كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب رقم 5558.
(3) الحديث : سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في الخضاب رقم 4206.
(4) الحديث : الحديث : صحيح مسملم، كتاب الفضائل، باب شبيه، رقم 2341.
(5) الحديث : صنفعبد الرزاق، كتاب الجامع، باب صباغ ونتف الشعر، رقم 20177.
(6) الحديث : أنس، كتاب الهبة وفضلها، باب ما لا يرد من الهبة، رقم 2443.
(7) الحديث : أبو داود عن أنس، كتاب الترجل، باب ما جاء في استحباب الطيب، رقم 4162.

«رأيت المسك في مفارق النبي ﷺ»[1]. وفي الموطأ أنه عليه السلام قال في جمعة من الجمع : «يا معشر المسلمين إن هذا يوم جعله الله عيدا فاغتسلوا، ومن كان معه طيب فلا يضره أن يمس منه وعليكم بالسواك»[2]، وقال : «المسك أطيب الطيب»[3]. خرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري. وقال : «السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب»[4]. وقال : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[5].

وأما التبخر بالعود ففي صحيح مسلم عن نافع قال : «كان ابن عمر إذا استجمر استجمر بالأُلُوَّة غير مطراة[6] بكافور يطرحه مع الأُلُوَّة ثم قال : هكذا كان يستجمر النبي ﷺ ويتبخر»[7]. والأُلُوَّة، بفتح الهمزة وضم اللام وشد الواو، العود الذي يبخر به، ومطراة اسم مفعول، أي غير مرويات بطيب آخر. والبخور والطيب يزيدان الفقير انشراحاً في سره، لأن الفقراء لهم تطلع لعالم الأمر، فيتطيبون لأن ذلك مما يليق بالروح. وأما الخضرة بالرياحين والأزهار، فقال عليه السلام : «النظرة في الخضرة يزيد في البصر»[8]، وقال : «من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح»[9]، خرجه مسلم عن أبي هريرة. وكل ذي ريح طيبة من نبات ريحان. وقال : «شموا النرجس ولو في اليوم

---

(1) الحديث : مسند أحمد، كتاب مسند عبد الله بن العباس، باب مسند عبد الله بن العباس رقم 3781.

(2) الحديث : كتاب الطهارة، باب فرض الوضوء رقم 1070.

(3) الحديث : مسلم عن أبي سعيد الخذري، كتاب الألفاظ من الأدب، رقم 225.

(4) الحديث : النسائي عن عائشة، كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك رقم 5.

(5) الحديث : عن أبي هريرة، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة رقم 847.

(6) في «ر» : قطرات

(7) الحديث : صحيح مسلم، كتاب الألفاظ، باب استعمال المسك... رقم 2254.

(8) الحديث : كشف الخفاء ومزيل الإلتباس من الأحاديث المشتهرة علي ألسنة الناً للعجلوني.

(9) الحديث : مسلم عن أبي هريرة، كتاب الألفاظ.. باب استعمال المسك رقم 2253.

مرة، ولو في الجمعة مرة، ولو في الشهر مرة، ولو في السنة مرة»[1]. وقال: «أحب من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»[2]. والخضرة نور وزهرة، وخضرة لها روائح طيبة وألوان عجيبة، فما ينكر في ادخالها المسجد للنظر والاعتبار في صنع الله، وكل إناء بالذي فيه يرشح. وقيل "لابن العطار الفاسي"، وكان من العلماء ولحق بالفقراء: "تتخذون الخضرة والفقراء يتشبهون فيها بأهل الخلاعة"، فقال: "أهل الخلاعة يتشبهون فيها بالفقراء ولذلك أقيم عليهم الحد".

وأما قنديل الزجاج فقال الله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾[3] الآية. فمثل[4] بنوره الذي ليس كمثله شيء، تقريبا لأفهامنا حتى قال حبيب بن أويْس:

فاللّه قد ضرب الأقل لنوره — مثلا من المشكاة والنبراس

وفي قنديل الزجاج يقول النجم الاسرائيلي[5]:

ومعيني على سهادي كأس — من زجاج أرق من اشعار

كالأخ الخالص المودة لا — يكتم عني شيئا من الأسرار

والعجب أن قناديل الزجاج لاتزال معلقة في المساجد ثم تنكر موضوعة بين يد الفقراء في الأرض.

---

(1) الحديث: رواه الطبراني، كشف الخفا.

(2) الحديث: الحديث بهذه الصيغة ضعيف، والصحيح: «حبب إلي من الدنيا، النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة». النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم 3939.

(3) النور: 35

(4) في «ق» يمثل.

(5) النجم الإسرائيلي: وهو أبو المعالي محمد بن سوار النجم بن إسرائيل (603هـ - 677هـ)، كان أوحد زمانه شعرا وأدبا وظرفا وتصوفا، عاصر ابن الفارض، تتلمذ في أول سلوكه طريق الحقيقة على «شهاب الدين السهروردي» (539هـ - 632هـ) ولبس خرقة التصوف على يده. وعندما التقى «بابن عربي» شغف به ولزمه وأخذ عنه علوم الباطن.

وأما خلطة الشباب ففي الموطأ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «سبعة يظلهم الله سبحانه بظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابان في الله اجتمعا على ذلك وافترقا، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[1]. وقال : «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»[2]. وقال : «ان الله أرسلني شاهداً ومبشراً ونذيراً فخالطني الشباب وفارقني الشيوخ»[3]. خرجه سلام الباهلي في الأول من الدخائر والأعلاق له. والشاب أقل مكرا وأحسن عشرة، قالوا : وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه. وأما قبول الشباب إذا جاء، والاشتراط عليه، فخرج المقدسي في كتابه عن أنس قال : «لما قدم النبي ﷺ المدينة أهدت له نساء الأنصار كل ما قدرن عليه، و لم يكن لأم سليم شيء فأتت النبي ﷺ فقالت : يا نبي الله إن نساء الأنصار أتحفناك و لم يكن عندي شيء أتحفك به، وهذا ابني انس قد أهديته لك. قال : قد قبلته يا أم سليم على أن لا يظهر من سري شيئا. قالت : ذلك إن شاء الله»[4]. قال أنس وقد فعلت ذلك ومازلت أخدمه عشر سنين إلى أن قبض.

وأما المزاحُ وهو البسط، فقال أنس : «كان النبي ﷺ من أفكه الناس»[5] خرجه المقدسي. وقال لأنس : «يا ذا الأذنين»[6] وقال لرجل

(1) الحديث : رواه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الجماعة.. باب من جلس في المسجد رقم : 629 والموطأ رقم 1709.
(2) الحديث : رواه أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر رقم 16920.
(3) الحديث : لم نعثر عليه.
(4) أبو يعلى، الكتاب : شريك، عن أنس، رقم 3624.
(5) المعجم الصغير، كتاب الميم، باب من اسمه محمد رقم الحديث 871.
(6) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، رقم 5002.

سأله أن يحمله على جمل : «أحملك على ولد الناقة فتعجب الرجل فقال له هل تلد الجمال إلا النوق»[1]. وكان رجل من أهل البادية يقال له زاهر بن حرام، بالحاء والراء، كلما دخل المدينة يهدي للنبي ﷺ شيئاً، فوجده النبي ﷺ في السوق فأتاه من خلفه وضمّه إليه وقال : «مَن يشتري مني هذا العبد ؟ فقال زاهر إذا تجدني كاسرا يا رسول الله فقال: لست عند الله بكاسر ثم قال : "زاهر باديتنا ونحن حاضرته»[2]. وجاء رجل لعلي رضي الله عنه برجل فقال : "زعم هذا أنه احتلم البارحة بأمي في نومه"، قال : يوقف للشمس ويضرب ظله الحد»[3]. وكان كثير المزاح.

وأما الضحك فَجِدُّه ما يرضي النفوس ولا يخرج عن المباح، وهو مورد جمال ولا يصدر إلا عن الصفاء. قال "جابر بن سمرة" : «كانوا يتحدثون ويأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون، وكان النبي ﷺ يبتسم معهم»[4].

وأما البسط مع الصغار، فروى أبو داود عن أنس أن النبي ﷺ قال لأخيه : «يا أبا عمير ما فعل النغير فكناه»[5]. والنغير طائر صغير كان النبي ﷺ يكنيه به فصغره النبي ﷺ، وكان إذا جاء يقول له النبي ذلك.

وأما البسط بالطعام فروى المقدسي عن عائشة قالت : «أتيت النبي ﷺ بخزيرة طبختها فقلت لسودة والنبي بيني وبينها : كلي فأبت، فقلت كلي فأبت، فقلت لتأكلين أو لألطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها، فضحك النبي ﷺ، فوضع فخده لها

(1) الحديث : الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح رقم 1991.
(2) الحديث : في صحيح ابن حِبان، كتاب الهبة، رقم 5097.
(3) الحديث : مصنف عبد الرزاق، كتاب الطلاق، باب الرجل يطلق في المناح... رقم 11426.
(4) الحديث : صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب فضل الجلوس.. رقم 670.
(5) الحديث : البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، رقم 5778.

وقال لسودة : لطخي وجهها، فلطخت بها وجهي، فضحك أيضا، فمرّ عمر على الباب فنادى، يا عبد الله يا عبد الله، فظن النبي ﷺ أنه سيدخل فقال : قوما فاغسلا[1] وجوهكما. قالت عائشة : فمازلت أهاب عمر لهيبة النبي ﷺ إياه»[2]. وكانوا يتبادحون[3] بالبطيخ أي يترامون به الخزيرة، بخاء معجمة ومفتوحة وزاي مكسورة وياء وراء، العصيدة على مرق اللحم، ويتبادحون بباء واحدة ودال مهملة وحاء مهملة.

وأما خطف الفاكهة ونهبها، فروي : «أنه عليه السلام لما زوج فاطمة من علي رضي الله تعالى عنهما، أوْلَمَ عنهما بطبق تمر فلما وضعه بين أيدي الحاضرين قال : انتهبوا فانتهبوا فصارت سنة»[4]، ووُلد لبعض الأنصار مولود فأتى في عقيقته بسلال مشمش وتمر فقال عليه السلام : «ما لكم لا تنتهبون ؟»[5] قالوا : نهيتنا عن النهبة قال : إلا في الفاكهة. قال الراوي : فلقد رأيتنا نجرجر النبي ﷺ ويجرجرنا أي نرده ويردنا.

وأما السباق، فروت عائشة : «أنه عليه السلام سابقها فسابقته ثم سابقها بعد ذلك فسابقها فقال : هذه بتلك»[6]. وفي صحيح مسلم : «أن رجلا من الأنصار طلب السباق فقال "سلمة بن الأكوع" : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ذرني لأسابق قال : إن شئت»[7].

وأما السباحة في الماء، وهي العوم، فروي أن عمر رضي الله عنه طلب من الزبير أن يصبر تحت الماء حتى ينظر أيهما أطول نفساً. وقيل

(1) في «ر» : فاغتسلا

(2) الحديث : مسند أبي يعلي رقم 4476

(3) في «ق» و«ع» : يتبادخون

(4) الحديث : في سنن سعيد بن منصور، باب ما جاء في الصداق، رقم 600.

(5) الحديث : من كتاب المعجم الأوسط 43/1، رقم 118 عن معاد بن جبل.

(6) الحديث : عن البيهقي، كتاب السبق والرمي، باب ما جاء في المسافة بالعَدْوِ، رقم 20317

(7) الحديث : لم نعثر عليه فيما لدينا من صادر الحديث الشريف.

"لأبي هشام الصوفي" في أي شيء كنت اليوم قال : في تعلم ما ليس لحيوان عنه غنى، قيل : وما ذاك ؟ قال : السباحة.

وأما استعْذابُ الماء، فروى أبو داود عن عائشة : «أنه عليه السلام كان يستعذب الماء من بيوت السقيا»[1]. قال "قتيبة بن سعيد" : هي "عين بينها وبين المدينة يومان". وأما أكل الطيبات فقال تعالى : ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾[2]. وقال : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جُنَاحٌ فيما طعموا﴾[3] الآية، و«كان عليه السلام إذا وجد الطيب لا ياكل الدون، وكان يحب لحم الذراع، وذبح له سعد بن عبادة أربعين ذات كبد وأطعمه أطيبهن فلم يعب عليه بل شكر فعله، وكان ابن عمر ياكل الفراخ والدجاج والجنيص»[4].

وأما الحلاوة ففي صحيح مسلم عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يقول : «فضل عائشة على النساء كفضل التريد على سائر الطعام»[5].

وأما الاتكاء ففي سنن أبي داوود عن جابر بن سمرة قال : «دخلت على النبي ﷺ في بيته فرأيته متكئا على وسادة على يساره وكان أبو سعيد الخدْري يجلس على البساط ويتكئ على الوسادة»[6].

---

(1) الحديث : رواه أبو داوود عن عائشة، كتاب الأشربة، الباب في إيكاء الآنية رقم 3725
(2) الأعراف : 32
(3) المائدة : 93
(4) الحديث : لم نعثر عليه فيما لدينا من مصادر الحديث الشريف.
(5) الحديث : في صحيح مسلم عن عائشة كتاب فضائل الصحابة ، باب في فضل عائشة رقم 2446
(6) الحديث : في كتاب البر والإحسان، باب الصحبة والمجالسة رقم 589

وأما الميل للرخص في بعض الأمور المباحة، ومطالبتهم من تنزه عنها، ففي صحيح مسلم عن عائشة قالت : «صنع رسول الله ﷺ أمراً ترخص فيه، فبلغ ذلك أناساً من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك فقام خطيباً فقال : ما بال رجال يبلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[1]. وفي حديث آخر فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ﷺ.

وأما قلب الأسماء القبيحة بالحسنة، فكان عليه السلام يفعل ذلك، فسمي حوبا سلما، وسمى شعيب الضلالة شعيب الهدى ونحو ذلك، وفي سنن أبي داود من ذلك.

وأما مداراة الناس، والجاهل يظنها رياء، ففي الموطأ عن عائشة أنها قالت : «استأذن رجل على النبي ﷺ وأنا معه في البيت فقال : بيس ابن العشيرة ثم أذن له، فقالت : فلم أنشب أن سمعت ضحك رسول الله ﷺ معه، فلما خرج الرجل قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم لم تنشب أن ضحكت معه، فقال : ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره»[2].

وأما قيام الناس بعضهم لبعض، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري : «أن أهل قرِيْضة لما نزلوا على حكم سعد بن معاذ، أرسل إليه النبي ﷺ فجاءه على حمار أقمر[3]، يعني أبيض، فلما دنا قال عليه السلام : قوموا إلى سيدكم أو قال إلى خيركم»[4].

---

(1) الحديث : كتاب الفضائل، الباب علمه بالله تعالى، رقم 2356

(2) الحديث : كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق رقم 1605

(3) في «ق» : أقصر

(4) الحديث : كتاب الجهاد والسير، الباب إذا نزل العدو... رقم 2878

وأما قسمة شَعَرِ المحترمين بينهم، ففي صحيح مسلم عن أنس قال: «لما رمى النبي ﷺ الجمرة ونحر نسكه ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه، ثم أعطاه الشق الأيسر فقال: احلق فحلقه، فأعطاه أبا طلحة، فقال: اقسمه بين الناس»[1]. وأما حطّ الرأس عند زيادة سرور أو استغفار، فهو من نحو سجود شكر[2] الله تعالى عند السرور بلقاء الإخوان، وزيادة يكتسبها الفقير، لأنه عليه السلام كان إذا ورد عليه وارد يسره سجد له، وقد سجد عند رؤية رأس أبي جهل. وروى مسلم عن أبي حازم في حديث المنبر قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ قام عليه وكبر وكبرنا وراءه وهو على المنبر، ثم نزل فرجع القهقري، فسجد في أصل المسجد ثم دعا، وذلك أول يوم جلس عليه»[3]. وكان عمر وغيره إذا ورد عليه فتح من الفتوح سجد، وفعله عند الاستغفار تواضع وأدب للنفس.

وأما الشكرانة ففي صحيح البخاري عن كعب بن مالك في حديثه الطويل: «قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أخلع مالي صدقة إلى الله ورسوله، فقال عليه السلام: امسك عليك بعض مالك فهو خير لك»[4]. وفي الموطأ عن أبي لبابة بن عبد المنذر حين تاب لله قال: «يا رسول الله اترك قومي التي أصبت فيها الذنب وأجاورك وانخلع فيها ومالي صدقة لله. فقال: يجزيك من ذلك الثلث»[5]. فالفقير إذا أذنب وندم واستغفر

(1) الحديث: صحيح مسلم عن أنس كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر. رقم 1305

(2) في «ر»: لشكر

(3) الحديث: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، الباب جواز الخطوة أو الخطويتين في الصلاة. رقم 544

(4) الحديث: كتاب الوصايا، باب إذا تصدق أو أوقف بعض ما له رقم 2606

(5) الحديث: كتاب النذر والإيمان باب جامع الإيمان رقم 1022.

قبل الله توبته : ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما يفعلون﴾[1] فيقدم صدقة إذا تاب من الذنب كما فعل الصحابي، ولا أحد أولى بها من الفقراء، فإن لم يكن ما يخرج أخرج الفقراء عنه، أو الخادم أو الشيخ أو كبير القوم أو يسمح له.

وأما شكرانة القدوم فروى جابر بن عبد الله قال : «لما قدم النبي ﷺ المدينة نحر جازوراً أو بقرة»[2].

وأما إلزامهم أكثر من الشكرانة لمن امتنع منها فروى "بهز بن حكيم" عن أبيه عن جده في حديث مانع الزكاة والحديث في الإبل قوله عليه السلام : «ومن منعها فأنا آخذها شطر إبله عزمة من عزمات ربنا لا يحل لآل محمد منها شيء»[3]، قلت : قال الحربي رواية وشطر إبله غلط. وإنما هو : و"تشطر إبله"، أي تجعل شطرين، ويأخذ المصدق من شطرهما عقوبة له، ذكره الهروي في الحرفيين.

وأما الزامهم الشيء من لفظ به، فروى "جابر بن عبد الله" فيما روى «المقدسي» في كتابه قال : «دخلت على النبي ﷺ ذات يوم فقال : يا جبير، هؤلاء أعنز إحدى عشر عنز في الدار أحب إليك أم كلمات علمنيهن جبريل آنفاً يجمعن لك خير الدنيا والآخرة ؟ قلت : يا رسول الله والله إني لمحتاج وهؤلاء الكلمات أحب إلي فطفق يرددهن حتى حفظتهن، ثم قال استقهن معك يا جابر. فسقتهن معي الاحدى عشر»[4].

---

(1) الشورى : 25.

(2) الحديث : كتاب الجهاد والسير رقم 2923 في صحيح البخاري باب الطعام عند القدوم...

(3) الحديث : في مسند أحمد، باب حديث بهز بن حكيم، رقم 19514

(4) الحديث : كنز العمال، في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، رقم 5111.

وأما أخذهم الضيافة قهراً من مانعها، ففي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال : «قلنا : يا رسول الله إنك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقرءوننا فما ترى فقال : إن نزلتم بقوم فامروا لكم بما ينبغي للضيف، فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فجزوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم»[1].

وأما استخراج الراحة من بخيل أو كريم، ففي صحيح مسلم عن عبد الله ابن عمر قال : «أخذ النبي ﷺ ينهانا عن النذر ويقول انه لا يرد شيئا ولكنه يستخرج[2] به من الشحيح، فالاستخراج من الشحيح خير له»[3]. والفقراء يفعلون هذا بطريق حسنة ولاسيما مع من له منهم خرق مثمنة ولا يتفتى منها بشيء، وكثيرا ما ينكر هذا عليهم.

وأما طرح الخرق، ففي صحيح مسلم عن جرير قال : «كنا عند النبي ﷺ في صدر النهار فجاءه قوم حفاة عراة محتابي النصار أو العبا متقلدين السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعض وجه رسول الله ﷺ لما بهم من الفاقة، يعني تغير، فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال : يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة» إلى : ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾[4]. والآية التي في الحشر ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾[5]. تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره، قال ولو بشق تمرة، بكسر الشين، أي بنصفها فجاء رجل من الأنصار

---

(1) الحديث : كتاب اللقطة، باب الضيافة... رقم 1727، وفي «ر» الحديث مبتور.

(2) في «ق» و«ع» : يخرج

(3) الحديث : كتاب النذر، باب النهي عن النذر، رقم 1639

(4) النساء : 1

(5) الحشر : 18

بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد تعجز عنها، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب يعني كدسين، والكَوم والكَدس، بفتح الكافين، وروى ضمهما، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال : من سن سنة في الإسلام حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[1]. فالقيت الخرق بين يديه ﷺ لوجود الراحة، وألقيت بين يديه عند النوائب، لأنه لما رأى يوم أُحدٍ جثة عمه حمزة بكى، ولما رأى ما مثل به شَهَقَ، وهو بفتح الهاء، ثم قال : الأكفن فرمى رجل من الأنصار بثوب. وعن أبي سعيد الخدري قال : «دخل رجل مسكين المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثياباً، فطرحوا فأمر له بثوبين، ثم حثّ على الصدقة فجاء الرجل فطرح الثوبين فصاح به فقال له خذ ثوبك»[2]. وكان عليه السلام يقبل من أبي بكر لما علم من حاله، ورد على غيره لما علم من حاله.

وأما المطالبة وسببها ويسمونها النقار، فيقصدون بها إخراج الحقوق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلح بين شخصين أو فئتين. وروى سهل بن سعد الساعدي قال : «أوتي[3] النبي ﷺ فقيل له : إن بني عوف قد تقاتلوا وتراموا بالحجارة فذهب ليصلح بينهم، وحضرت الصلاة فجاء بلال إلى أبي بكر فقال : تصلي بالناس حتى أقيم، قال : نعم، فأقام وذكر الحديث»[4]. وقد عاب الله تعالى بترك

(1) الحديث : كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، رقم 1017
(2) الحديث : في سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب الرجل يخرج من ماله، رقم 1675
(3) في «ع» و«ق» : أتى
(4) الحديث : في صحيح البخاري، كتاب الصلح رقم 2544

المطالبة في قوله : ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾[1]، وقال عمر في جملة من الصحابة : «أرأيتم لو ترخصت في بعض الأمر ما كنتم صانعين ؟ قالوا : إذا قومناك تقويم[2] القدح، وهو السهم، قال : فأنتم إذا أنتم». وقد أمر الله تعالى بتغيير المنكر، وتغييره باليد فإن لم يقدر فباللسان فإن لم يقدر فبالقلب وذلك أضعف الإيمان. وسبب المطالبة عندهم أن من بغى على أخيه أو هجره طالبوه ليرجع، لقوله عليه السلام : «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما من بدأ بالسلام»[3]. رواه مالك في الموطأ عن أبي أيوب الأنصاري. وقال : «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر الله لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئا، إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحنا، فيقال انظروا هاذين حتى يصطلحا»[4]. رواه مالك في الموطأ عن أبي هريرة. والفقراء يُحَكِّمُونَ المشايخ فيردون إلى الحق من أباه. وجائز في الشرع أن تحكم الخصمان بينهما من رضياه[5].

وأما مطالبة صاحب الدعوى، فروى أنس قال : «بينما نحن مع النبي ﷺ إذ استقبله شاب من الأنصار فقال له النبي ﷺ : كيف أصبحت يا حارثة قال : أصبحت بالله مومناً حقّاً، قال : انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة، قال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا، يعني صرفتها، ويروى عَزَفَتْ، بفتح الفاء وسكون التاء، فاسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها،

(1) المائدة : 79

(2) في «ق» و«ع» : بتقويم. والحديث طرف حديث رقم 14196، كتاب كنز العمال مسند عمر.

(3) الحديث : عن أبي أيوب الأنصاري، مالك، الموطأ، كتاب حسن الخلق، رقم 1614

(4) الحديث : كتاب البر والصلة والآداب، رقم 2565

(5) الجملة من «وجائز» إلى «من رضياهُ» محذوفة في «ر»

وإلى أهل النار في النار كيف يتحادون[1] (...) فقال : أبصرت فالزم عبد نور الله قلبه بالإيمان»[2]. خرجه المقدسي في كتابه.

وأما مطالبة ناقل الكلام ففي صحيح مسلم عن حذيفة أنه عليه السلام قال : «لا يدخل الجنة فتات»[3]، أي نمام، وقال : «لا يدخل الجنة نمام»[4].

وأما مطالبة الفقيرين إذا تنافسا، فلقوله عليه السلام : «لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»[5]. رواه مالك في الموطأ عن أبي هريرة.

وأما مطالبة من منع واجبا، فروى أنس: « أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صُفرة فقال : ما هذا ؟ قال : تزوجت امرأة على قدر نواة من ذهب قال : بارك الله لك أولم ولو بشاة»[6]. أخرجه في الصحيحين واللفظ هنا لمسلم.

وأما القعود في الوسط، فالفقير إذا قعد وسط الفقراء لأخذ القصاص والحد، إذا وقع فيما يوجب الحد، فيتقدم بنفسه أو يقدمه الخادم لذلك، حتى يُقتص منه أو يعفى عنه، فيكون قعوده مستقبل القبلة، لقوله عليه السلام : «خير المجالس ما استقبل القبلة»[7]. وقد

---

(1) في «ر» : يتعاون، و «ق» : يتعاورون

(2) الحديث : في سنن البيهقي، كتاب الزهد، رقم 10590

(3) و(4) الحديث : كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم النميمة رقم 105.

(5) الحديث : كتاب تتمة مسند أبي هريرة، باب تتمة... رقم 8299.

(6) الحديث : رواه أنس، كتاب النكاح باب الصداق رقم 1427.

(7) الحديث : لم نعثر عليه، وإنما عثرنا على قوله ﷺ : «خير المجالس أوسعها» شعب الإيمان رقم 8241

كشف عليه السلام عن بطنه لعكاشة، وتقدم لأخذ القصاص والحد إذا وقع فيما يوجب الحد منه، واللائق بالطريق العفو، إلا في حد من حدود الله فإنه لا يُرَدُّ[1] إلا بشبهة.

وأما الاستغفار قائما، فلأن القيام أقرب إلى الخضوع، وهو المقدم في قوله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعوداً﴾[2] الآية، وحاصل قيامهم إنما هو لله تعالى والمراد به كظم غيظ المجنى عليه حتى يقبل على الجاني، وقولهم: ربنا ظلمنا أنفسنا، هو ما حكى الله تعالى أن آدم وحواء عليهما السلام قالاه عند الخطيئة.

وأما قولهم عند الخطأ، نستغفر الله، فلقوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾[3] الآية. وكان عليه السلام يقول: «اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا»[4] وقال ابن مسعود: كان رجوع الأنصار يوم سقيفة بني ساعدة بقول عمر: «أنشدكم الله هل تعلمون أن النبي ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس قالوا: اللهم نعم قال: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه النبي ﷺ؟ قالوا: كلنا لا تطيب نفسه نستغفر الله»[5].

وأما قولهم الفقير أولى بخرقته، فروى جابر بن عبد الله قال: «اعتق رجل غلاما ليس له مال غيره فباعه النبي ﷺ ثم دفع ثمنه إليه، وقال أنت إلى ثمنه أحوج والله غني عنه»[6]. ذكره المقدسي. وفي صحيح مسلم عن

(1) في «ع»: لا يدرؤه، وفي «ر»: لا يدرأ
(2) آل عمران: 191
(3) آل عمران: 135
(4) الحديث: عن عائشة، المصدر: ابن ماجة، كتاب الأدب باب الاستغفار رقم 3820
(5) سنن النسائي، كتاب الإمامة، باب ذكر الإمامة، رقم 777.
(6) الحديث: سنن البيهقي كتاب المدبر باب المدبر يجوز بيعه.. رقم 22166.

أبي هريرة قال : «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : هلكت يا رسول الله قال : وما أهلكك ؟ قال : وقعت على أهلي في رمضان. قال : هل تجد ما تعتق به رقبتك ؟ قال : لا، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا، قال : فهل تجد ما تطعم به ستين مسكينا ؟ قال : لا، ثم جلس فأتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر، والعرق بفتح العين والراء، الزنبيل الكبير، فقال : تصدق بهذا، قال : لا أفقر منا، فما بين آياتيهما يعني الحرتين أهل بيت أحوج منا. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجده ثم قال : اذهب فاطعمه إليهم»[1]. فالفقير على كل حال أولى بخرقته.

وأما قولهم، إذا خرجنا عن شيء لا نعود إليه، ففي الموطأ عن عمر رضي الله عنه قال : «حملت على فرس عتيق في سبيل الله وكان الرجل الذي هو عنده قد أضاعه فأردت أن أشتريه منه وظننت أنه بائعه برخص فسألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : لا تشتريه وإن أعطاكه بدرهم واحد فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه»[2].

وأما قولهم الصلاة عند الاجتماع، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا، منا ما يصلح خباءه[3] ومنا من ينتظل، بظاء معجمة، يعني بالسهام، ومنا من هو في شجرة، بفتح الجيم والشين، يعني في رعي دوابه. إذ نادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة، فاجتمعنا فقال : إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرّ

(1) الحديث : صحيح ابن خزيمة كتاب الصيام باب ما يجب الكفارة رقم : 1944
(2) الحديث : في الموطأ عن عمر (ض)، كتاب الزكاة باب الشراء... رقم 623
(3) في «ع» و«ق» : خباؤه

ما يعلمه لهم وإن أمتي هذه جعلت عاقبتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها»[1] الحديث.

وأما التكبير على من حاد عن الحق، ففي الموطأ : «أن النبي ﷺ أتى الناس في قبائلهم (يدعوهم)[2] وأنه ترك قبيلة من القبائل، وأن القبيلة وجدوا في بردعة رجل منهم عقد جَزْعٌ غلولا ـ والجَزْعُ بفتح الجيم وسكون الزاي، حرز ملون، والبردعة بفتح الباء ـ فأتاهم فكبر عليهم كما يكبر على الميت»[3].

وأما هجران من لا يوافق منهم من غير عذر، فروى أنس قال : «لما خرج المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ يتلقونه، قال : لا تكلمون أحداً تخلف عنا»[4]. وخرجه البخاري عن كعب بن مالك في حديث طويل قال فيه : «ونهى المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس فلبثنا على ذلك خمسين ليلة»[5].

وأما ضرب من عدل عن الحق، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال : «ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مومن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مومن حقا، ومن جاهدهم بقلبه فهو مومن حقا، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة

(1) الحديث : صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجود الوفاء ببيعة الحلفاء رقم 1844
(2) محذوفة في «ق» و«ع»
(3) الحديث : الموطأ، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الفلول، رقم 979
(4) و(5) حديث كعب، رقم الحديث 15362 مسند أحمد.

خردل»[1]. فيفهم من هذا تعزير من عدل عن الحق، أي تأديبه. والفقير من ينصف من نفسه ويكون مع الفقراء على نفسه، ومن اشتكى لوال فليس بفقير.

وأما وصف الرجل بما فيه عند المشورة فيه، أو التحذير منه، والجاهل يظن ذلك غيبة؛ ففي صحيح مسلم عن فاطمة بنت قيس: «أن النبي ﷺ قال لها حين خطبها معاوية وأبو جهم وأسامة بن زيد، أما معاوية فرجل ترب لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضراب للنساء، ولكن إنكحي أسامة»[2].

وأما القيام للكلام إذا كان الجمع كثيراً، ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: «لما فتح الله على رسول الله ﷺ مكة، قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ان الله حبس عن مكة الفيل»[3].

وأما الكناية في الكلام ففي صحيح مسلم عن أنس قال: «كان لرسول الله ﷺ حَادٍ حسن الصوت يقال له أنجشة فقال له رويدا يا أنجشة لا تكسر القوارير»[4]، فكنى بالقوارير عن ضَعَفَةِ النساء، والقوارير الزجاج.

وأما الرمزُ في الكلام فروت عائشة: «أنه عليه السلام قال لنسائه أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً، قالت عائشة: فتوفيت زينب وكانت

---

(1) الحديث: في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود. كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر رقم 50

(2) الحديث: في صحيح مسلم عن فاطمة بنت قيس، وهو غير كامل في: «ع» و«ق» و«ر». لسقوط كلمة (انكحي).

(3) الحديث: في صحيح مسلم عن أنس، كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثا رقم 1480 والبخاري، كتاب اللقطة، رقم 2302

(4) الحديث: رواه مسلم في كتاب الفضائل باب رحمة النبي للنساء رقم 2323.

امرأة قصيرة فعرفنا حينئذ أنه أراد بطول اليد الصدقة، لأنها كانت تتصدق في سبيل الله»[1].

وأما الإشارة والتعريض في الكلام فقال جابر بن عبد الله : «أمر أبي بحزيرة فصنعت له ثم أمرني فأتيت بها النبي ﷺ فقال : ما هذا يا جابر؟ ألحم ذي ؟ فلما قال جابر ذلك لأبيه. قال عسى أن اشتهى اللحم فصنع أبي له اللحم»[2]. والفقراء يعرضون كذلك ويسمونه الحط، ويقولون حططنا على فلان حملنا.

وأما الصلاة في النعال، ففي صحيح مسلم عن أبي مسلمة سعيد ابن زيد قال : قلت لأنس : «أكان النبي ﷺ يصلي في النعلين ؟ قال : نعم»[3]. وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري قال : «بينما النبي ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعها عن يساره فلما رأى ذلك القوم خلعوا نعالهم، فلما قضى صلاته قال : ما حملكم على القاء نعالكم ؟ قالوا له قد رأيناك قد ألقيت نعليك فألقينا نعالنا فقال : ان جبريل أتاني فأخبرني أن بهما قذراً»[4]، وقال عليه السلام : «إذا جاء أحدكم المسجد فلينظر، فإن رأى في نعليه قذرا أو أذى فليمسحه وليصلي فيها»[5]. وكان النخعي يقول في الذين يخلعون نعالهم للصلاة وددت لو أن محتاجاً أخذها.

---

(1) الحديث : رواية عائشة (رض) صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة رقم 1670

(2) الحديث : عن جابر بن عبد الله، مستدرك الحاكم، كتاب الأطعمة رقم 7099

(3) الحديث : في صحيح مسلم عن أبي مسلمة سعيد بن زيد، كتاب المساجد باب جواز الصلاة في النعلين رقم 555

(4) الحديث : يسنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري، كتاب الصلاة باب الصلاة في النعل، رقم 650.

(5) الحديث : سنن أبي داود، كتاب الصلاة، رقم 650

وأما الصلاة في الثوب الواحد ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة : «أن سائلا سأل النبي ﷺ وهو يصلي في الثوب الواحد مشتملا به في بيت أم سلمة واضعا طرفيه على عاتقيه»[1]. وفي الموطأ عن أبي هريرة قال : «إني لأصلي بثوب واحد وإن ثيابي لعلى المشجب»[2]، والمشجب الخشبة التي عليها الثياب، وكان جابر بن عبد الله يصلي في الثوب الواحد ويكره أن يصلي المصلي في ثوب وليس على عاتقه منه شيء.

وأما تركهم الرُّقى والتمائم والعزائم والطب، فروى عقبة بن عامر الجهني قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : «من تعلق تميمة فلا أتم الله له أمره، ومن تعلق وديعة فلا ودع الله له»[3]. وفي صحيح مسلم في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة من أمته بغير حساب قال : «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون»[4].

وأما تقليبُهم الذهب وشبهه بالعود ولا يمسونه، فروى عوف بن مالك قال : «كان النبي ﷺ إذا جاءه فيء قسمه في يومه فأعطى الأهل حظين والأعزب حظاً فدعينا، وكنت ادعى قبل عمار ابن ياسر، فدعيت فأعطاني حظين، ثم دعا كذا عمر بن ياسر فأعطاه حظا واحدا، فسخط حتى عرف ذلك النبي ﷺ في وجهه ومن حضره، فبقيت قطعة من سلسلة من ذهب فجعل يرفعها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول : كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا، فلم يجبه أحد، فقال عمار وددنا يا رسول

---

(1) الحديث : في صحيح مسلم كتاب الصلاة باب الصلاة في ثوب واحد رقم 517.

(2) الحديث : في الموطأ عن أبي هريرة، كتاب الصلاة جماعة الباب الرخصة في الصلاة... رقم 319

(3) الحديث : رواية أحمد عن عقبة بن عامر رقم 16951.

(4) الحديث : في صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على دخول... الجنة، رقم 220

الله لو قد أكثر لنا من هذا»[1]. وأما قبول الفتوح من النساء، ففي الموطأ عن أنس قال : «كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان، وهي خالته من الرضاعة فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت»[2]. وعن ابن عباس : «أن أم الفضل أرسلت إلى رسول الله ﷺ بلبن فشرب وهو قائم يخطب للناس بعرفة، وبعث عليه السلام إلى أم عطية وهي نسيبة الأنصارية بشاة فأرسلت إلى عائشة منها، فقال عليه السلام : أعندكم شيء قالت : لا إلا ما أرسلت به نسيبة من تلك الشاة، قال : فقربيه فقد بلغت محلها»[3]. ونسيبة مصغرة من النسب بسين مهملة، وروي فيها بفتح النون وكسر، وروى فيها التصغير والسين معجمة.

وأما زيارة النساء فروى المقدسي عن أنس قال : «كان رسول الله ﷺ يزور أم سليمة أحيانا فتدركه الصلاة فيصلي على بساط لها، وهو الحصير، فتنضحه بالماء»[4]. وقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : "انطلق بنا نزور أم أيمن كما كان النبي ﷺ يزورها"، وهي أم أسامة بن زيد .

فهذه مستندات الأمور التي تنكر عليهم على الترتيب الذي ذكرت قبل هذا وبقي شيء يتصل ذكره بعد.

---

(1) الحديث : رواية أحمد عن عوف بن مالك، رقم 23466

(2) الحديث : في الموطأ عن أنس.كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد رقم 994

(3) صحيح البخاري كتاب قسم الصدقات باب لا تحرم على آل محمد... رقم 13531.

(4) الحديث : كتاب مسند أنس، رقم 12567

## العلم الخامس

# في السماع ولواحقه

في التنزيل : ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولائك الذين هداهم الله وأولائك هم أولوا الألباب﴾[1]. وسُئل عليه السلام عن الشعر فقال : «حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيحه»[2]. وقال : «إن من الشعر لحكمة»[3]. وفي رواية : «إن من الشعر لحكماً وأن من البيان لسحراً»[4]. وقد سمع عليه السلام الشعر وأجاز عليه وأمر أن ينحت لحسان ابن ثابت منبراً ينشد عليه الشعر. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : «أنه كان ليضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائماً يهجو[5] الذين كانوا يهجون النبي ﷺ وكان يقول : إن روح القدس مع حسان ما دام ينافح[6] واكرام الموضع له من هذا الحديث لأن المنظور إليه والمسموع منه، وقد أنشد النابغة للنبي ﷺ :

بلغنا السماء ومجدنا وثناؤنا     وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

---

(1) الزمر : 17

(2) الحديث : البيهقي : كتاب الحج، باب لا يضيق على واحد أن يتكلم بما لا يكتم فيه من شعر أو غيره رقم 9262

(3) الحديث : سنن ابن ماجة كتاب الأدب باب الشعر رقم 3755

(4) الحديث : مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة.. رقم 6569

(5) في «ع» و«ق» و«ق» يهجوا

(6) الحديث : أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر رقم 5015

فقال : إلى أين يا أبا ليلى ؟ قال : إلى الجنة، فقال : إن شاء الله ثم أنشده :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في أمر إذا لم يكن له أديب إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال : أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك»[1]. فعاش مائة وثلاثين لم تنفض له ثنية. وقولهم للمسمع أحسنت أصله من هذا الحديث. وفي صحيح مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : «ردفت النبي ﷺ فقال : هل معك من شعر أمية بن الصلت شيء ؟ قلت : نعم، قال : هيه، أي أنشدنيه، فأنشدته بيتاً، قال : هيه، حتى أنشدته مائة بيت، زاد في رواية أخرى أنه عليه السلام قال : فلقد كاد يسلم في شعره»[2]. فالاقتراح على المسلم مخرج من هذا الحديث.

والشعر ثلاثة أقسام ما كان منه يذكر الآخرة ويزهد في الدنيا أو يخوف ويرجى، أو يذكر ما مضى من صروف الدهر، يحسن للمبتدي والسالك، وقد تقدم سماعه عليه السلام من الغزل. وفي صحيح البجاري عن الربيع، بالتصغير وكسر الياء مشدودة، بنت معوذ. بكسر الواو مشدودة وذال معجمة، قالت : «دخل النبي ﷺ غداة علي فجلس على فراشي كمجلسك مني وجويرات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم ما في غده، فقال دعي هذا وارجعي إلى ما كنت تقولين»[3]. ورد الخطأ على القوال مأخوذ من هذا الحديث. وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها

(1) الحديث : أنظر كتاب تاريخ الأدب العربي بروكلمان، وسيرة ابن هشام.
(2) الحديث : في صحيح مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه في كتاب الشعر الحديث رقم 2255
(3) الحديث : في صحيح البخاري عن الربيع بنت معود، كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدراً، رقم 3779 .

قالت : «زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي ﷺ : يا عائشة أما كان معهم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو»[1]. وخرجه البخاري في كتاب النكاح، وفيه دليل على أن البعض أميل للسماع من بعض. وفي الصحيحين عن عائشة : «أن أبا بكر رضي الله عنه وعنها، دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان، وفي رواية مسلم تغنيان وتضربان بدفين والنبي ﷺ مُسَجًّى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي ﷺ عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد»[2]. وقد سمع ﷺ انشاد الحداث بالتلحين. وروى المقدسي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : «كانت عندي جارية تغني والنبي ﷺ يسمع، فلما سمعت بحس عمر فرت، فلما دخل عمر وجلس تبسم النبي ﷺ فقال عمر : ما أضحكك يا رسول الله فقال: ضحكت أن جارية كانت عندي تغني فلما سمعت حسك فرت فقال عمر : لا أبرح حتى أسمع مما يسمع منه رسول الله ﷺ فأقبلت تغني وعمر يسمع»[3]. قال المقدسي : "وترك العناد في السماع أصله من هذا الحديث، وفي اسناده ضعيف". وفي الصحيحين عن عائشة قالت : «دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جوار الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعاث قالت وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر : أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ وذلك يوم عيد، فقال : يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»[4]. وفي رواية جاريتان تلعبان بالدف، وفي أخرى قالت : «فأقبل عليه النبي ﷺ

---

(1) الحديث : في صحيح مسلم عن عائشة وخرجه البخاري في كتابه النكاح. باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها رقم 4867

(2) الحديث : مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب رقم 8929

(3) الحديث : من رواية المقدسي عن عائشة. رواه مسلم، كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه، رقم 892

(4) الحديث :صحيح البخاري كتاب العيدين رقم 909

وقال : دعهما فلما عقل غمزتهما فخرجتا، وكان يوما يلعب عندنا السودان بالحراب والدِّرْقُ، فلما سألت النبي ﷺ قال : تشتهين النظر ؟ قلت : نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة، حتى إذا مللت قال : حسبك ؟ قلت : نعم، قال : فاذهبي. قالت : وكان لعبهم هذا في المسجد»[1]. وبنو أرفدة جنس من الحبشة.

ولما أنشد سحيم عبد بني الحسحاس عمر رضي الله عنه في قصيدته التي أولها :

عـميرة ودع ان تجهـزت غـاديـا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

قال : لو كان شعرك كله مثل هذا لأجزتك، فاستماع الشعر لا ينكره إلا جاهل بالسنة.

وقد قال عليه السلام لحسان «هَيِّجِ القطاريفَ من عبد مناف، والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غسق الظلام»[2]. وروى المقدسي عن مصعب ابن الزبير قال : "حضرنا مجلس مالك فسأله أبو مصعب الزهري، صاحب المختصر في الفقه عن السماع، فقال : ما أدري إلا أن أهل العلم ببلدنا لا ينكرون ذلك ولا يقعدون عنه، ولا ينكره إلا غبي جاهل أو ناسك عراقي غليظ الطبع". وقال صالح بن أحمد بن حنبل أنه رأى أباه يتسمع من داره غناء كان في بعض ديار جيرانه، وقيل لسعيد ابن المسيب: "هنا قوم نساك يعيبون إنشاد الشعر". قال : "نسكوا نسكاً عجميا". وقام البراء بن مالك برجليه على حائط وهو يترنم بالشعر، قال

(1) الحديث : البخاري، كتاب العيدين باب الحراب... رقم 907

(2) الحديث : سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، رقم 2893

أنس بن مالك : فقلت يا أخي أبعد الإسلام[1] والقرآن ؟ قال : يا أخي الشعر ديوان العرب. وقد نصّ النبي ﷺ على فضل البراء بن مالك في قوله : «ربّ أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك»[2]. رواه أبو موسى الأشعري. فلا ينكرن السماع إلا جاهل أو مدعي، ولكن يحتاج كما قال الجنيد[3] إلى زمان ومكان وإخوان. وقال الشبلي : "السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة، فمن عرف الإشارة حلّ له استماع العبرة، وإلا فقد استدعى الفتنة"، ولأجل هذا قال أبو علي الروذباري[4] : "ليتنا خلصنا من السماع لا لنا ولا علينا". وقال ذو النون المصري[5] : "السماع وارد حق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بنفس تزندق".

وأما الرقص والدف والشبابة، فقد تقدم ذكرها لما في صحيح مسلم أن الحبشة رقصوا في مسجده عليه السلام والدف ضرب في بيته وبين يديه، وذكر في الشبابة أن عبد الله بن عمر سمعها أو مثلها، وهي التي يضربها الرعاة والجمالون والأعراب والأعاجم، «فجعل أصبعه في أذنيه وقال لنافع هل تسمع شيئاً ؟ قال : نعم، وكلما قال له نعم لم يزل أصبعيه، وقال لنافع : هكذا فعل النبي ﷺ»[6]. يعني كما فعل هو ولو كانت مكروهة أو محرمة لم يترك نافع يسمعها. قال المصنف : رأيت

(1) في «ق» : السلام.

(2) الحديث : ورواه الترمذي عن أنس في كتاب المناقب باب مناقب البراء بن مالك رقم 3854 .

(3) الجنيد : (أبو القاسم)، شيخ الصوفية على الاطلاق وإمامهم باتفاق، مات ببغداد سنة 297هـ. أنظر أخباره بالرسالة القضيرية، وبجامع الكرامات مادة الجيم.

(4) الروذباري : هو أبو عبد الله أحمد بن عطاء، أنظر أخباره بالرسالة.

(5) ذو النون المصري : هو توبان بن ابراهيم. كان أوحد زمانه علما وورعاً وحالا وأدبا. توفي سنة 245هـ بمصر. أنظر الكرامات.

(6) الحديث : في سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كراهية الغناء والزمر، رقم 4924.

فقهاء المشرق بالمشرق يسمعونها ولا ينكرونها، وأخذهم الكلمة من المسمع يتمثلون بها في المطابق. وفي حالة السماع لما روى المقدسي أن الأعمش من بني مازن قال: أتيت النبي ﷺ فأنشدته:

يا مالك الناس وديان العرب... الأبيات إلى أن قلت له آخرها وهي: شر غالب لمن غلب. فجعل عليه السلام يتمثل به ويقول: «وهن شر غالب لمن غلب». والخلع على المسمع وتملك الْمُسَمِّعِ إياه من غير تلفظ بحبة[1] ولا قبول، لما روى المقدسي عن أبي عمر بن العلاء عن كعب بن زهير في حديث طويل قال: «فدخلت المسجد فوقفت بين يدي رسول الله ﷺ فأنشدته قصيدتي التي أولها «بانت سعاد» ومضيت فيها إلى أن انتهيت إلى قولي:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف اللّه مسلول

فقال لي: من أنت؟ فقلت: أشهد أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، أنا كعب بن زهير، فرمى إلي بردة كانت عليه»[2]. فلما كان زمان معاوية بعث معاوية إلي كعب: بعْنا بردة رسول الله ﷺ بعشرة آلاف، فوجه إليه: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً فلما مات كعب، بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألفاً وأخذ البردة، و لم تزل عند الخلفاء.

وتمزيق الخرقة والتصرف فيها لما في صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه قال: «أهدي للنبي ﷺ حلة حرير فأرسل بها إلي، فخرجت فيها فقال لي: ما كنت لأكره لنفسي شيئا أرضاه لك فشققتها بين النساء

(1) في «ر»: بهبة. والحديث للأعمش المازني، رقم 6846 مسند أحمد.
(2) الحديث: المقدسي عن أبي عَمر بن العلاء عن كعب بن زهير، وهو موجود بمعناهُ في سنن البيهقي، كتاب الشهادات، باب من شبب، رقم 21745

خمراً. وفي رواية أنه قال اجعلها خمارا بين الفواطم»[1]. وقالت عائشة رضي الله عنها: «نصبت حجلة فيها رقع تعنى بسحق، فمدها النبي ﷺ حتى شقها، فهذه الحلة والحجلة قد شققت»[3]. وعن أنس قال: «كنا عند النبي ﷺ إذ نزل عليه جبريل فقال: يا رسول الله فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، وهو نصف يوم، ففرح فقال: أفيكم من ينشدنا فقال بدوي: نعم يا رسول الله فقال: هات هات أي لا تؤخر، فأنشد البدوي يقول:

لَقَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الْهَوَى كَبِدِي     فَلاَ طَبِيبَ لَهَا وَلاَ رَاقِي
إلاَّ الْحَبِيبُ الذِي قَدْ شَغُفْتُ بِهِ     فَعِنْدَه رُقْيَتِي وتِرْيَاقِي

فتواجد عليه السلام وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا آوى كل واحد إلى مكانه فقال معاوية: ما أحسن لعبكم يا رسول الله. قال: مه مهْ يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب ثم اقتسم رداءه من حضرهم بأربعمائة قطعة»[4]. ذكر المقدسي هكذا وذكر السهروردي في عوارفه. تكلم الناس في هذا الحديث قال المصنف: وفيه رد على ما زعمه أهل الظاهر من أن تمزيق الخرقة إضاعة المال لاسيما وثمن خرقة الفقير ممزقة أكثر من ثمنها سليمة.

---

(1) الحديث: في صحيح مسلم عن علي (رض)، كتاب اللباس باب تحريم استعمال إناء الذهب رقم 2071

(2) في «ع» و«ق»، مكان «كذا» فراغ

(3) الحديث: لم نعثر عليه.

(4) الحديث: سنن الترمذي، كتاب زهد رسول الله ﷺ رقم 2353

## فصل في أحكام الرد

قال المقدسي أجمع مشايخنا أن المخروجة أي التي شققت وما اتبعت من الخرق الصحيحة بالموافقة لما يكون ذلك كله لحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشايخ. وقال أبو إسماعيل عبد الله ابن محمد الأنصاري الهروي[1] صاحب النهروية وهي كتاب منازل السائرين إلى الحق : "الخرق المخروجة للفقراء والسليمة للقوالين"، لقوله عليه السلام في الموطأ : «من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه»[2]. ولكن إن كان القوال من الفقراء فلهم أن يتفتوا عليه ببعض الخلع، وإن رده للوسط قبل منه، وإن كان متأهلاً تفتوا عليه، لأن تفضيل المتأهل واجب وإن كان محبا تخشى معه تمشية الفقير، فإن كان القوال بأجرة لم يوثر بالخلع[3] إلا أن يشترط ذلك كذا.

والخِلْعُ جمع خلعة، بكسر الخاء، وهي الثوب الذي يخلعه لابسه ويسمونها الخرق، ويكره سماع المستأجر لأن تأثيره في النفوس ليس كالذي لا يأخذ أجرة، فإن كان الخلع كثيرا أسهم منه للقوال على أي حال كان، لأنه من صنف المحبين.

---

(1) الأنصاري : (الهروي) توفي 481 هـ. من أقواله : «من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال كان كمن يطلب الشمس من السراج».

(2) الحديث : في الموطأ، كتاب الجهاد باد ما جاء في السلب في النفل رقم 973

(3) في «ع» : بالخلاع.

والخَلْعُ نزع الثوب ولا يقال خُلْعٌ بضم الخاء، إلا في اختلاع امرأة من زوجها، ومن مزّق خرقة حتى لا ينتفع بها و لم يكن محترماً أن لا يضيع ثوبه على أي حال كان، طولب لم فعل ذلك، ويستغفر الله لما ضيع على الفقراء، ومن خرج عن خرقة فقد بانت عنه، وللفقراء النظر في حاله، ومن أشار بيده أن يخلع بَانَ ما عليه، ومن دخل الطابق بفرجية غير مزرة[1] بانت منه، ومن خلع ما على رأسه بان عنه كل ما عليه، فان الخرق تابعة للتّاج، ومن رقص ويداه تحته بانت عنه خرقه، ومن عثر في ثوبه أو داسه أو أطفأ به السراج أو أذى به أحداً أو شبه ذلك بان عنه الثوب، وكذلك الإشارة بالكم، فإن الفقير محفوظ والسقط بائن عنه فيبين عنه ثوبه بأقل شيء، بخلاف المحب فإنه لا يبين عنه ثوبه إلا باختياره. والعياط الفاحش في السماع يُطالب صاحبه، فإن انفصل وإلا استغفر الله، وكذلك الوقوف الكثير في الطابق ما لم تشهد له البواطن بالصدق، ولا يزاحم محترم في طابقه ولا يدخل الطابق غير فقير لأنه لا يدري مشرب القوم، ويحبسه الخادم في موضعه إن غلب عليه وارد. وإذا حضر محترم أو شيخ فلا كلام للفقراء في الخرق ولا فيما يرد مدة منظوريته إلا بإذنه، وكل ما يقع في الطابق أو في الوقت من حركات غير موزونة جهل صاحبها أو عرف ولم ينصف فعائدها على من افتتح الطابق، فإن لم ينصف فعلى الخادم، فإن لم يكن خادم فعلى الشيخ، فإن لم يكن شيخ فعلى الفقراء بحضورهم مع غيرهم، وإذا خيف على فقير من استيلاء الوجد عليه سكت المسمع، لما تقدم عند ذكر الكناية في الكلام هو قوله عليه السلام لأنجشة : «رويدا يا أنجشة لا تكسر القوارير

(1) في «ر» : مزررة

وفي رواية رويدك رفقا بالقوارير»[1]. يعني ضعفة النساء، ومن الحسن استماع الصوت الحسن، وسمع عليه السلام قراءة «أبي موسى الأشعري» فقال : «لقد أوتي هذا من مزامير آل داود»[2]. فقد ظهر ثبوت هذه الأمور من السنة. وإنما طمست بصائر الناس العوائد وقلة البحث وتضييق الواسع من رحمة الله التي وسعت كل شيء.

(1) الحديث : رواه مسلم في كتاب الفضائل باب رحمة النبي للنساء رقم 2323
(2) الحديث : صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن رقم 4761

## العلم السادس

# في علومهم وعبادتهم
# وأين هم من الصوفية علومهم

أنكر أكثر أهل الظاهر أن يكون للفقراء علم يسمى علم الباطن وقالوا : أن النبي ﷺ لم يكتم من الرسالة شيئا. ومعظم ما جاء به القرآن العظيم، وإن كان قد روي أنه عليه السلام قال : «أوتيت من الحكمة مثل ما أوتيت من القرآن العظيم»[1] خرجه "أبو الحاكم بن برجان" في كتاب التنبيه[2] له في تفسير عيون من القرآن. وقد بلغ عليه السلام جميع ذلك في التنزيل : ﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته﴾[3]. واحتج أهل الباطن أنه عليه السلام لا يساوي فهمه في القرآن فهم أصحابه وفهم القرآن العظيم مع فهومنا، ولذلك قال عليه السلام : «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[4]. فهذه إشارة إلى علم خاص به لم يؤمر بتبليغه لأنه أمر أن يخاطب الناس على

(1) الحديث : جاء في كتاب التنبيه لأبي الحكم بن برجان، غير أننا لم نجده فيما لدينا من مصادر الحديث الشريف.

(2) كتاب التنبيه : والمقصود به : كتاب تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم. مخ ميونخ MS. Cod 83

(3) المائدة : 67

(4) الحديث : صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف رقم 997

قدر عقولهم، مع أن القرآن فيه علم كل شيء. قال تعالى : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1]. وقال : ﴿وكل شيء أحصينه كتاباً﴾[2]. وقال : ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[3]. قال "سهل بن عبد الله" : لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهايته، لأنه كلام الله تعالى وصفته العالية، وكما أنه لا نهاية له تعالى، فلا نهاية لفهم كلامه وكلامه غير مخلوق، فلا تبلغ نهاية فهمه فهوم المخلوقين، على أن بعضهم يفهم في الآية فهما وبعضهم فهمين وبعضهم ثلاثة وهكذا، وما زاده كل واحد منهم على الأخر فهو علم باطن بالنسبة للذي لم يفهمه. وقال "ابن عباس" في قوله تعالى : ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾[4] الآية. لو ذكرت تفسيرها لرجمتموني بالحجارة. قال "أبو هريرة" : أودعني رسول الله ﷺ وطابين، أو قال جرابين من علم، فأما أحدهما بثثته فيكم أو قال، فبينته، بالنون، وأما الآخر لو نَبُثُّهُ فيكم لقطع مني هذا البلعوم. وقال البخاري : البلعوم هو مجرى الطعام والشراب. وقد استكتم عليه السلام سعدا في قوله : «من قال لا إلاه إلا الله دخل الجنة»[5]. فأخبر بها سعد عند موته. وقال علي رضي الله عنه : "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون، أو قال أتحبون أن يكذب الله ورسوله"، خرجه البخاري. وقال : "إن هنا علوما لو وجدت حملة لها"، وأشار إلى صدره. وفي خُطبته المعروفة بالقطقطانية شيء من ذلك. وقال : لو شئت أوقرت من شرح الفاتحة سبعين بعيراً. أو قال : سبعين حملا.

---

(1) الأنعام : 38

(2) النبأ : 29، والآية زاذدة في «ر»

(3) ياسين : 12

(4) الطلاق : 12

(5) الحديث : رواه الترميذي في كتاب الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إلاه إلا الله، رقم 2638

أو قال : أربعين. وقال علمني رسول الله ﷺ سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك لأحد غيري. وأسرّ عليه السلام "لحذيفة ابن اليمان" العلم بالمنافقين، وكان عمر يسأله ويقول : هل أنا منهم ؟ فيقول له : لا. وقال عليه السلام : «إن من أمتي محدثون وإن عمر منهم»[1].

فما يختص به القلب من العلم هو العلم الباطن، وما يظهر من العلم على اللسان هو علم الظاهر، وهو علم الشريعة، يجمع الرواية والدراية. وأعمال الظاهر أعمال الجوارح وهي : العبادات والمعاملات مع الحق. وأعمال الباطن أعمال القلوب وهي : المقامات والأحوال. ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود : مات تسعة أعشار العلم، قيل له : تقول هكذا وفينا جلة الصحابة، قال : لم أرد علم الفتاوى والأحكام، وإنما أريد العلم بالله. وقال عليه السلام : «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله»[2]. وقال له رجل : علمني من كل العلوم، قال : أتعلم رأس العلم ؟ قال : وما رأس العلم ؟ قال : معرفة الله.

وانعقد الاجماع على فضل الصحابة رضي الله عنهم لتقدمهم بعلم الآخرة لا بعلم الأحكام ولا بعلم الفتوى ولا بشبههما، وإن كان بعضهم سمع ما لم يسمع البعض. وجاء في "أبي بكر" رضي الله عنه، أنه لم يسبق الناس بكثرة صلاة ولا صيام ولا بكثرة فتوى، ولكن بشيء وقر في صدره. وكانوا آلافاً ولم يتصدر منهم للفتوى إلا ما دون العشرين، وإذا سئل أحدهم أحال على الأخر. وكان "ابن عمر" إذا سئل يقول : اذهب إلى الأمير الذي تقلد أمور الناس. وإنما كانوا أهل خوف ومجاهدة ومراقبة وطهارة باطن ومكارم أخلاق وإخلاص وتوحيد وجهاد.

---

(1) الحديث : موجود بهذا اللفظ : قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر بن الخطاب، البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، رقم 3282.

(2) الحديث : لم نعثر عليه فيما لدينا من مصادر الحديث الشريف.

والعلم اليوم الاشتغال بالفروع والتعمق فيها والتدقيق إلى غير نهاية. ويسمون البذاذة قذارة والبواطن مشحونة بالمفاسد. وقد توضأ "عمر" رضي الله عنه من جرة نصرانية، وكان يمسح يده من الطعام بأخمص قدميه ويقول : مناديل آل الخطاب بطون أقدامهم. كذلك سائر الصحابة.. وكانوا يصلون في المساجد على التراب، ويمشون حفاتاً في طين الشوارع، ويصلون ويقتصرون في الاستنجاء على الحجارة. وقال أبو هريرة : كنا ناكل الشواء في المسجد فتقام الصلاة فندخل أصابعنا في الحصباء ثم نعركها بالتراب ونكبر. ولكن لما اتسعت الدنيا على الناس احتيج لكثرة الفروع كما أحتيج لعلم الكلام حين كثرت الشبه في التوحيد، ولعلم النحو واللغة حين فسد اللسان، وكأن هذه العلوم أدوية لما حدث. فعلومهم علوم الآخرة والإخلاص والأخلاق التي بها كمال النفس ولا يحملها أحد عن أحد. وهي لباب الشريعة وتسمى علم الباطن لخفاياها ولكونها عند الأقل من الناس ويقصر عنها فهم أكثرهم، فهي باطنة للقاصر ظاهرة للكامل. قال "مالك" : العلم نور يضعه الله حيث يشاء. وأول من تكلم في علم الصوفية علي رضي الله عنه وكذلك في النحو. وأمر "أبا الأسود الدؤلي" أن يضع فيه شيئاً. وقال "سهل بن عبد الله" : العلوم ثلاثة : علم ظاهر يبذل لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يظهر إلا لأهل الباطن، وعلم بينك وبين الله تعالى، ولذلك قال بعض العارفين : إفشاء سر الربوبية كفر. وفي الحديث قيل : «يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال : اجتناب المحارم ولايزال فاك رطب بذكر الله، قيل : فأي الأصحاب خير ؟ قال : إن ذكرت أعانك وإن نسيت ذكرك. قيل : فأي الأصحاب شر ؟ قال : صاحب إن سكت لم يذكرك وإن ذكرت لم

يعنك. قيل : فأي الناس أعلم ؟ قال : أشدهم لله خشية»[1]. فجعل العلم خشية الله، فهي رأس الدين. والعالم إما عالم عامة وهو العالم بالحلال والحرام، وإما عالم الخاصة وهو العالم بالمعرفة والتوحيد. والعلم بالحلال والحرام هين على الفقراء لزهدهم في الدنيا. قال "حسان بن سنان" : ما من شيء أهون من ورع إذا رابك شيء فدعه. وقد بينت للمظبط الفهم، وأقول لغيره كما قال الشاعر :

على سوق المعاني من معادنها    وما علي إذا لم تفهم البقر

## فصل

العلوم التي بأيدي أهل الشريعة سبعة : علم القرآن وعلم الحديث وعلم الفقه وعلم أصول الفقه وعلم أصول الدين وعلم الأدب وعلم التصوف.

فأما علم القرآن فقرآءته وتفسيره، وقراءته ضبط كلماته وتجويدها ومعرفة الخلاف الذي بين الأئمة السبعة، لتواترها الأربعة عشر، وأساميهم وكناهم وموالدهم ووفاتهم وبلدانهم، ومعرفة مخارج الحروف وصفاتها، ومعرفة الأداء، ولابد أن يقوم به بعض لئلا تضيع القراءة، و لم يكن في الصحابة من يحفظ القرآن إلا أربعة : "علي بن أبي طالب" و"أُبَيْ ابن كعب" و"زيد بن ثابت" و"عثمان بن عفان" رضي الله عنهم، لأن الله تعالى لم يكلف إلا التدبر فيه وقال : ﴿أفلا يتدبرون

---

(1) الحديث : صحيح بن خزيمة، كتاب المناسك، باب حسن الصحبة رقم 140

القرآن﴾[1]. والتفسير على نزول الآية وشأنها ومعانيها والسبب الذي نزلت فيه. قال "السُّهْرَوَرْدي؛ في عوارفه وساق قوله عليه السلام: «ما نزلت آية من القرآن إلا ولها ظاهر وباطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع»[2]، أي مصعد وهو الفهم. قال في الظاهر لفظ القرآن والباطن تأويله. وقيل الظاهر صورة القصة من الغضب على قوم أو عقابهم أو نحو ذلك، والباطن شبيه من يقرأ ذلك. وقيل ظاهره تنزيله الذي يجب الإيمان به، وباطنه وجوب العمل بمقتضاه وقيل ظاهره تلاوته وباطنه التدبر، وقوله عليه السلام: «لكل حرف حد في التلاوة لا يجاوز المصحف»[3].

وفي التفسير بالسماع والأثار والتأويل، وهو صرف الآية إلى ما تحتمله مما يوافق الكتاب والسنة، والمطلع لأرباب القلوب، وهو مشهود المتكلم بالآية، لأنها مستوع وصف من أوصافه فتجدد لهم التجليات بتلاوة الآيات. قال جعفر الصادق[4]: لقد تجلى الله لعباده في كلامه: ولكن لا يبصرون. فالحد حد الكلام والمطلع الترقي عن حد الكلام إلى شهود المتكلم. قال أبو العباس بن العطاء[5]: "سكنت قلوب العارفين أول حرف من كتابه وهو الباء من بسم الله، أي به ظهرت الأشياء وبه

---

(1) النساء: 82

(2) الحديث: رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود. وعوارف المعارف ج 1 ص 112 دار المعارف د ت.

(3) الحديث: عثرنا على صيغة أخرى: «أنزل الله القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، أبو يعلى، مسند عبد الله بن مسعود رقم 5403.

(4) جعفر الصادق: هو الإمام السادس من أئمة الشيعة الإثنا عشريّة التي لقبت باسمه فيما بعد «الجعفرية» حول هذه الفرقة وهذه الشخصية، أنظر الملل والنحل هامش الفصل ج 2 ص 4 وما بعدها والنشار، نشأة ف ي ج 2 ط 4 القاهرة 1979 ص 206 وما بعدها.

(5) هو أحمد بن عمر الأنصاري أبو العباس المرسي المالكي أصله من المغرب ونزل بالإسكندرية وبها توفي سنة 676هـ عن أخباره، أنظر جامع الكرامات.

قامت وبه فنيت". وقال "الواسطي"[1] في اسمه "الرحمن" : كل اسم من أسمائه يتخلق به إلا اسمه الرحمن والصمد، فإن الرحمانية لا تكون مطلقة إلا له، ومنها ابراز الموجودات من ظلمة العدم، وكذلك الصمدانية لا تكون إلا له لاستحاله شبه البشرية في حقه سبحانه. وقال الشبلي في قوله تعالى : ﴿قل للمومنين يغضوا من أبصارهم﴾[2] أي يغضوا أبصار الرؤوس عن المحارم وأبصار القلوب عما سوى الله تعالى.

وأما علم الحديث، فمعرفة أسامي الرواة وكناهم وبلدانهم والثقة والضعيف، فضبطوا موالدهم ووفاتهم والجرح والتعديل ليعرف ما هو من الحديث صحيح وحسن وضعيف وما منه مسند ومرسل وموصول ومقطوع وبلاغ وموقوف وغير ذلك. ولابد من قيام البعض به لتحفظ الأحاديث ويتميز الموضوع منها من غيره، والفقير في سعة عنه. وقد قالت رابعة : "نعم الرجل سفيان لولا أنه يكتب الأحاديث". ورأى رجل من أهل الحديث بعض أصحابه في النوم فقال له : ما فعل الله بك ؟ فسكت فأعاد عليه فسكت فقال له : غفر الله لك ؟ قال : لا، قال : لم ؟ فقال : الذنوب كثيرة والمناقشة دقيقة ولكن وعدت بخير قال : فأي الأعمال وجدت أفضل ؟ قال : قراءة القرآن والصلاة في جوف الليل، قال : فأيهما أفضل ما كنت تقرأ أو ما كنت تقري ؟ قال : ما كنت أقرأ، قال : فكيف وجدت فلان ثقة، فلان ضعيف ؟ قال : إن خلصت فيه النية لم يكن لك ولا عليك. وقال بعض العارفين : كنا نترك مجلس شعبة لأنه كان يدخلنا في الغيبة بقوله : فلان ثقة، فلان ضعيف، و لم يتكلم في الجرح والتعديل غير هذه الأمة.

---

(1) الواسطي : هو أبو بكر محمد بن موسى من فرغانة، صحب الجنيد والنوري، وهو عالم كبير الشأن أقام بمرو ومات بها بعد سنة 320هـ. أنظر عن أخباره : الرسالة القشيرية.

(2) النور : 30

وأما علم الفقه، فهو علم الفروع، فكل علم فقه من جهة اللغة، ولكن للفروعيين استنباط دقيق وبحث في قواعد العبادات والأحكام والحدود والوقائع التي لم يصرح الشرع بأحكامها ولابد من قيام البعض به وما يحتاجه الفقير من ذلك بَيِّنٌ عند الجمهور.

وأما علم أصول الفقه الذي يميز به الأصل والفرع، والناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والاجماع والقياس، والواجب، والمحرم، والمكروه، والمندوب، والمباح، وغير ذلك. فالفقير في فسحة منه.

وأما علم أصول الدين، فمتعلق الشهادتين بطريقة القناعة مستنبطة ما بين المعقول والمنقول مقدمات مشهورات ومقبولات وضعها الأصوليون لما حدثت الشبهة في العقائد، فاثبتوا حدوث العالم، وقدم الصانع، وقدم صفته وأثبتوا النبوءة، وردوا على الفلاسفة والفرق بطرق جدلية، والفقير يسعه[1] تركه.

وأما علم الأدب، فهو يجمع اللغة والنحو والعروض والتاريخ ومعرفة كلام العرب وأشعارها وخطبها وغير ذلك. ولابد من اللغة لفهم القرآن والحديث، وليس بضروري على الفقير.

وأما علم التصوف الذي هو علمهم فيجمع معرفة الاخلاص ودقائقه الرياء والحسد والكبر ومعرفة الزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعرفة أسماء الله تعالى والتخلق بها، ومعرفة النفس والخلق والإيثار والمقامات : كالتوكل والرضى والتسليم والتفويض والرجاء والخوف والذكر والشكر والصبر والحزن والتوبة والندم والحياء، وسائر

---

(1) في «ر» يسعده

المقامات الإسلامية والإيمانية والاحسانية، ولتجردهم عن الدنيا لم يبق لهم إلا علم ما يخطر بقلوبهم، فعلمهم باطن، ولهم أسرار في التوحيد وفي أسماء الله تعالى والتخلق بها وفي حروف فواتح السور كاللواميم والطواسيم والحواميم وغير ذلك، وجملتها أربعة عشر حرفا، ولإشاراتهم أسرار بينتها الرسالة المسماة بالمقاليد الوجودية[1]، إذ هي الفاتحة لكل مغلق والقائدة لكل من أراد أن يتحقق. "قال أبو نصر بن الحارث" : جميع العلوم تؤدي إلى علم التصوف. وقال "الشبلي" : أصل التصوف الاقتداء بالسنة، وأكثر حواديث الفقه تقع قليلا، وعلوم التصوف تحتاج في كل لحظة. وكان بعض الفقهاء ينهى عن مجالسة "الشبلي" والأخذ عنه، ثم لقيه يوما فقال : يا أبا بكر كم في خمس من الابل فقال الشبلي : شاة في الواجب، وأما عندنا فكلها، فقال الفقيه : ألك في هذا أصل ؟ قال : نعم أبو بكر الصديق حين أتى بماله كله فقال النبي ﷺ : «ما أبقيت لعيالك ؟ قال : الله ورسوله»[2]. فمن خرج عن ماله كله وترك الدنيا فإمامه أبو بكر، ومن خرج عن بعض وأمسك بعضاً فإمامه عمر، ومن جمع لله ومنع لله وأنفق لله فإمامه عثمان، ومن رفض الدنيا فإمامه علي، وكل علم لا يؤدي إلى ترك الدنيا فليس بعلم.

## فصل

فأما علوم الفلاسفة فليست من علوم الملة، وهي : الرياضيات والطبيعيات والإلاهيات. أما الرياضيات وهي لتعليم الحساب والهندسة والهيئة والموسقى فحاصلها الكلام فيما عقل مجرد عن المادة.

---

(1) المقاليد الوجودية رسالة لأبي الحسن الششتري، أنظر الفصل الخاص بمؤلفاته.

(2) الحديث : سنن أبي داود كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك رقم 1678.

وأما الطبيعيات فاختلف فيها أقوالهم وأئمتهم[1] الخواص، وحاصل كلامهم تخمين في صناعة النجوم والطب والأثار العلوية والكون والفساد والسماء والعالم. وقد حكى يحيى الاسكندري عن كبيرهم، أنه مات ولم يدر هل فلك الزهرة فوق الشمس أو دونها. و"أفلاطون"[2] قال بحدوث العالم وخالفه تلميذه أرسطو[3]. وجالينوس[4] مات ولم يدر هل العالم حادث أو قديم. والإلاهيات لم يحضوا منها بطائل، وكلامهم في النفس غير مخلص والإسلاميون منهم من زمن المامون العباسي. والمنطق الذي بنوا عليه لم يخلصوا فيه الحدود، مع أن صورها في النفس الناطقة، قلتُ لأن الإنسان يميز الأشياء برؤيته لها تمييزا ذاتيا لا يختلط فيه شيء منها بغيره البتة، ثم يعجز في الحدود عن التعبير عن أكثر أجناسها القريبة عن فصولها الذاتية المعرفة بها، ولا حاجة للفقير إلى شيء من ذلك كله، مع أن الإنسان لا يقف على كنه جسمه فضلاً عن نفسه، فكيف على حقيقة العلويات وهي الملكوت الكبير ؟ ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره﴾[5]. وما أحسن قوله عليه السلام للذي قال له في الإسلام :« قل ربي الله ثم استقم»[6].

---

(1) في «ق» و« ع» : وايتهم

(2) أفلاطون : من فلاسفة اليونان (470 ق م - 399 ق م) أنظر ترجمة حياته في : تاريخ الحكماء ص 197، الملل والنحل 88/2، تاريخ الفلسفة اليونانية ص 50.

(3) أرسطو : هو أشهر فلاسفة اليونان (384 ق م - 322 ق م). أنظر ترجمة حياته في الملل والنحل 119/2 - 127، والفهرست ص 359، وتاريخ الفلسفة 208/112.

(4) جالينوس : فيلسوف يوناني مشهور (131 - 201م) كان إمام الأطباء في عصره، وله تأثير في الطب العربي. الفقطي ص 122.

(5) الحج : 73

(6) الحديث : الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم 2410

**عبـادتهـم :**

الناس يعتقدون الصلاح بالتعمق في الدين وإطالة الجوع والتقبض وتغميض الوجه وتمييل الرأس، والسكينة في المشي. والصلاح قد يكون في البسط وفي القبض، وفي البشاشة، وفي الكلام وفي الصمت، وفي العزلة وفي الألفة، إذا كان كل ذلك بعلم. وكيف يقف على حالة واحدة من تعبد بالرجاء والخوف ؟ لأن الرجاء المطلق من صفات المرجئة، والخوف المطلق من صفات الوعيدية، والوقوف على حالة واحدة رياء وجمود لقوله عليه السلام : «رحم الله عبدا قال خيرا أو صمت»[1]. كيف دعا للمتكلم أولا بالخير ثم للصامت عن الشر ثانيا، فالسنة حال بين حالين، وكذلك ينبغي أن يكون قلبه بين وجهتين. قال الصديق رضي الله عنه : «لو نادى منادي من السماء لن يدخل الجنة إلا رجل واحد لرجوت أن أكون ذلك الرجل، ولو نادى منادي من السماء، لن يدخل النار إلا رجل واحد لخشيت أن أكون ذلك الرجل». وقال عمر رضي الله عنه : «العبادة ثلاثة : أداء الفرض، واجتناب المحارم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». وقال عثمان رضي الله عنه : «لولا أني خشيت أن يتثلم الإسلام فاسد بهذا الحال ما جمعته، وقد حمل حزمة الحطب على ظهره». وقال علي رضي الله عنه : «كل كلام لا يكون في ذكر الله فهو لغو، وكل صمت لا يكون في فكر فهو سهو، وكل نظر لا يكون في عبرة فهو غفلة، وكل حركة لا تكون في عبادة فهي فترة». وقال لعمر : «إذا أردت أن تلق صاحبك رقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك، وكل دون الشبع». فقال عمر : «لولا علي لهلك عمر».

---

(1) الحديث : لم نجده بهذا اللفظ. وإنما بلفظ «من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت». صحيح البخاري كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله... رقم 5672.

فالعبادة وضع كل في موضعه، وأعظمها المحافظة على الفرائض وحفظ الجوارح السبع وهي : السمع والبصر واللسان واليد والرجل والبطن والفرج. والأصل ترك الدنيا شأن الفقراء، لقوله عليه السلام : «محبة الدنيا رأس كل خطيئة»[1]. وترك الدنيا شأن الفقراء وقليل ما هم وقليل العمل مع الإخلاص كاف. قال الحسن : "من تقبلت منه سجدة في عمره دخل الجنة". والعجب ممن يكثر الصيام والقيام وهو يطلب الدنيا ولا يشعر أنه يسعى في توفية شهواته ولذاته. قال أبو الدرداء : "كنت في الجاهلية تاجرا، فلما أسلمت حاولت أن أجمع بين التجارة والعبادة فلم يجتمعا فآثرت العبادة". وسُئلتْ أم أبي الدرداء عن أفضل عبادته فقالت : "التفكر والاعتبار، وأما القوت فالله قد تكفل به لجميع خلقه".

وقولُ من قال : إن عمر أخذ بيد أعمى وأمره بالتسبب، وأنه أمر بالكسب لمن أمر ليس على الاطلاق، بل لمن عرف عجزه عن العبادة أو عرف طمعه في الناس، أو أنه يدخر أو غير ذلك، لأن عمر قد رأى أهل الصفة لم يومروا بالمعاش ولا بالخروج عن المسجد للتسبب. وفي الموطأ عن طلحة بن عبيد الله قال : «جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل نجد ثائر الراس يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال له النبي ﷺ : خمس صلوات في اليوم والليلة قال : هل علي غيرها قال : لا. إلا أن تطوع، وذكر له الزكاة قال : هل علي غيرها قال : لا إلا أن تطوع. فأقبل الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال النبي ﷺ : أفلح هذا إن صدق»[2]. فشهد

(1) الحديث : البيهقي في شعب الايمان، باب الزهد... رقم 10458

(2) الحديث : في الموطأ عن طلحة بن عبد الله. وفي كتاب الإيمان للبخاري باب الزكاة عن الإسلام رقم 46

بالفلاح لمن لا يزيد ولا ينقص، فظهر أن عبادة العارفين المحافظة على الفرائض وحفظ الجوارح والمراقبة والإخلاص والفكر والذكر. ولذكر الله أكبر. وسافر الكتاني[1] وصاحباه أبو بكر الزقاق[2] ومحمد بن إسماعيل الفرغاني نحو عشرين سنة، فكان الكتاني يقوم اليل ويستقبل الزقاق القبلة ويستلقي الفرغاني بفكر ويصلون الصبح بوضوء العتمة. والولاية القرب من الله بالأعمال الخالصة واستيلاء الحق والتعرض لنفحات الجبروت.

## أين هم من الصوفية

وفيه ثلاث جمل :

**الأولى في الفقر والتصوف :** قيل فيها بمعنى واحد، لأن الفقر الاحتياج إلى الله عز وجل، ولا يكون ذلك إلا مع الصفاء عن الكدرات، فحيث كان التصوف من المقامات يتبعه الفقر، حيث كان الفقر يتبعه الصفا. وقيل هما متباينان ولكن التصوف أفضل لأنه غاية الفقر وهذا مذهب صوفية الوقت وسكان الخونك .وقيل الفقر أفضل لأنه شامل لكل ما سوى الله تعالى، لأن الحادث مفتقر لموجود يوجده ثم لممسك يمسكه ثم لمنعم ينعم عليه بما يظهر، فالفقر يكون قبل التصوف ومعه

---

(1) الكتاني : وهو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر، صحب الجنيد والحزاز والنوري، وأقام بمكة مجاوراً حتى مات بها سنة 322هـ.

(2) أبو بكر الزقاق : من أقران الجنيد، وهو من أكابر صوفية مصر، مات سنة 304هـ. عن أخباره. أنظر : الرسالة القشيرية.

وبعده لقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾[1]. فكل مقام لابد أن يكون صاحبه فقيرا، فالفقر أعم من وجه وأخص من وجه، واختلف في لفظ التصوف ملقب[2] هو أم مشتق أم منقول ؟ والأكثر أنه من لباس الصوف، وقيل من الصُّفَة، وقيل أن يكون كالصوفة المطروحة لا يكون له مع الله تدبير، وقيل من الصفا وهو الأصح، صوفي فلان أي اختص بالصفاء، عوفي إذا اختص بالعافية. ولأبي الفتح البوني[3] تنازع الناس في الصوفي واختلفوا وظنوه مشتقا من الصوف، ولست أنحل هذا الاسم غير فتى صافيا فصوفي، حتى سمي الصوفي. والصفاء أن يصفو العبد من الأخلاق المذمومة الرديئة بالأخلاق المرضية، ثم من روية الأعمال بملاحظة الإخلاص، ثم من الملاحظة بترك الحظ الذي تتوهم النفس أنه لها، فإن ذلك كله فعل الله ليس للنفس فيه شيء. واختلف في ماهيته فقيل التصوف الأخلاق الكريمة قال أبو يزيد : التصوف طرح النفس في العبودية وتعليق القلب بالربوبية. وقال سهل بن عبد الله : التصوف السكون مع الحق والهروب من الخلق. وقال الجُنيد : "التصوف ترك الاختيار". وقال الشبلي : "التصوف الاقتداء بالسنة". وقال ابراهيم بن أدهم[4] : "التصوف علو الهمم عما تنافست فيه الأمم". وقيل للحلاج وهو على الخشبة مقطوع اليدين والرجلين وقد مثل به : ما التصوف ؟ فقال : "أوله ما ترى وآخره ما ترى غدا"، يعني قتله، وكان

(1) فاطر : 15

(2) في «ر» : ألقب، وفي «ق» للقب.

(3) البوني : هو الأمام أحمد بن علي، توفي سنة 622هـ، صاحب الكتاب الشهير في علم الأسماء والحروف : «شمس المعارف الكبرى» وكتاب «منبع أصول الحكمة»، أنظر أخباره بجامع الكرامات.

(4) وهو اسحاق ابراهيم بن أدهم ابن منصور من كورة بلخ. أنظر أخباره بالرسالة القشيرية.

في صغره قد عاب على كتاب شيخه الذي كان فيه كلامه الخاص، فقال الشيخ : سيقتل به وتقطع يداه ورجلاه فكان ذلك. قلت وذكر السهروردي في عوارفه : أن أقوال المشايخ في التصوف تزيد على ألف قول ويجمعها أن التصوف لايزال مصفى الأوقات عن الكدرات بتصفية القلب عن شوب النفس، فكلما ظهرت نفسه بصفة من صفاتها فرت منها إلى ربها. فالصوفي لا يرى في الدارين غير الله تعالى.

وأما لفظ الفقير فمشتق من فقار الظهر وهو العظم الذي يقوم به الظهر، وكذلك العالم كله لا يفارقه الفقر لأنه كله محتاج بالذات. والفقر من حيث الطريق أخلاق فاضلة وسير كريمة محمودة. وقيل الفقر شكر المنعم على كل حال وقيل فقد ما يحتاج إليه.

**الثانية في الفقراء والصوفية** : أما الصوفية فخمسة أصناف : الملامية والذين يدعون اليوم بالصوفية والمتصوفة والمتميزة والظرفاء، فالملامية أحسنهم حالا، وقد ذكروا في العلم الثاني قبل. والصوفية اليوم سكان الخوانك، والخانكة الرباط باللسان العربي، شبه دار يوقفه الناس لله تعالى، وفيه مطبخة وسقاية وشيخ وخادم، وصوفية راتبون وبيت كبير يسمونه الإيوان يجلسون فيه، بحيث لا يغيب فيه واحد منهم عن الآخر، وكل واحد على سجادته من قطن أو كتان، وعليهم خرق من الفقراء، ولكن لكل واحد منهم كسوة للحضر وكسوة للسفر، ويأكلون من أوقاف الخانكة، ولا يسألون. وإذا خطأ أحدهم قدم قماشة كله للوسط واستغفر، وإذا أراد أن يسافر واحد منهم أمر الخادم أن يلقي تحت سجادته إشارة السفر، وهي قليلة قطن أو يطوي طرف السجادة، فإذا رجع من سفره جلس في دهليز الخانكة مشدود الوسط، فإذا خرج

الخادم لم يكلمه و لم يسلم عليه ولا على غيره، حتى يأذن له في الدخول فيدخل والخادم أمامه، فيجد سجادة في مكانه الذي يصلح به، فيصلي ركعتين لأن لا يدخل إلا على طهارة، ثم يسلم على الشيخ والأصحاب. ولهم اصطلاح في الدخول والخروج والحضر والسفر والكلام وغير ذلك، ذكر في غير هذا.

والمتصوفة يتكلمون في أذواق القوم ويشيرون بإشاراتهم ويلبسون ما وجدوا ويتسببون ولا يرتبون في الربط، والمتميزة يلبسون الثياب الفاخرة على هيئة معلومة، ويعيشون بالسؤال وبخدمة أبناء الدنيا.

والظرفاء صنف من المتميزة. وأما أصناف الفقراء المتجردين فيسمون اليوم قلندرية وهم أولوا الحفا وكشف الرأس والتقشف المحض. وفي الخبر أنه عليه السلام وقف على أهل الصفة وقد استتر بعضهم ببعض من العرى وقارئ يقرأ القرآن عليهم وهم يبكون، فصح أنهم كانوا لا يرجعون إلى زرع ولا ضرع.

والصوفية لهم بعض قماش، ومن يقول من الصوفية إن المرقعة شهرة، فجوابه أن "سلمان الفارسي" سافر في زيارة "أبي الدرداء" من العراق إلى الشام راجلا وعليه كساء غليظ مضموم، فقيل له شهرت نفسك فقال : الخير خير الآخرة وإنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد فإذا اعتقت ألبست حلة لا تبلى حواشيها. ولما قال "بشر بن الحارث" للجمع الذين دخلوا عليه بالمرقعات لزيارته : "يا قوم اتقوا الله في هذا اللباس فإنكم تكرمون لأجله"، وسكت القوم. قال شاب منهم : "الحمد لله الذي نكرم لأجله، والله لا تركناه حتى يكون الدين كله لله". فقال بشر : "أحسنت يا شاب مثلك من يلبس المرقعة". وقال "ابن عباس" : "لأن

أرقع ثوبي وألبسه ويرفعني عند الخالق ويضعني عند المخلوقين أحب إلي من أن ألبس ثوبا يضعني عند الخالق ويرفعني عند المخلوقين". والمعتمد أن الفقراء والصوفية شيء واحد في المعارف والأذواق مختلفون في اللباس ؛ فالفقراء إذا نوع من الصوفية لكن من خيرهم، والطرق[1] كلها سبل إلى الله تعالى، فمن سلك منها طريقا وصلته إلى الله. وإذا قال الفقير للصوفي لا يصح الصفاء إن لم يكن عن الأغيار كلها حتى لا تجد إلا عبوديتك فأنت فقير إلى تعينها وهو أول باب تدخله من الفقر الخاص. والفقر هو الوصف الذاتي للعالم كله، مع أن الله تعالى ذكر الفقراء والأبرار والمقربين والصديقين والقانتين والمحسنين والسائحين والعابدين وغير ذلك، ولم يذكر الصوفية. وقال النبي ﷺ : «الفقر أزين بالعبد من العذار الجيد على خد الفرس»[2]. فيقول الصوفي : كل مقام لا يصحبه الصفاء فهو باطل، فالصفاء مطلوب في جميع المقامات مع أنه لفظ عربي مفهوم وقد وجد في زمن التابعين. قال الحسن وهو تابعي : وجدت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يقبل مني.

**الثالثة في السلوك والجذب** : قال الله تعالى : ﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾[3]. فذكر الإجتباء وهو الاصطفاء دون إنابة تقدم، وهذا هو الجذب، ثم ذكر الإنابة بعد تقدم الهداية، وهي رتبة السلوك والفضل تقدم السالك، لقوله تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[4] وقوله تعالى : ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾[5].

(1) في «ر» : والطروق.

(2) الحديث : البيهقي في الشعب رقم 10509

(3) الشورى : 13

(4) العنكبوت : 69

(5) الأنفال : 29

وقالوا : من لم يجتهد في العبادات و لم يسلك المقامات حتى يعرف المقام الذي يخرج عنده والذي يدخل فيه والبرزخ الذي بينهما و لم يبصره شيخ بكل منهل يحل فيه وينبهه على زلات الأقدام لم يفتح له باب الملكوت ولا فاز بطائل وفضل قوم المجذوب، لقوله تعالى : ﴿ليس لك من الأمر شيءٌ﴾[1]. ولقوله تعالى : ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾[2]. وقالوا : العبادة هي نفس المجذوب فمن لم يجذبه الحق للمقامات ويلهمه ويوقظه، كيف تكون له العبادات ؟ فالسالك إذا مجذوب لأن الإنسان لا يقوم بنفسه، فإن بصره شيخ بإذن الله بصره، وإن تبصر بنفسه فبإذن الله تبصر فالجذب يتقدم السلوك، وهو نور يلقيه الله في القلب به يتحرك العبد لما قدر له من الخير. والعلم اللدني وهو الذي يعلمه الحق دون واسطة الخلق وبه اختص الخضر عليه السلام. قال الله تعالى : ﴿وعلّمناه من لدنا علما﴾[3]، فإن قيل المجذوب يفتح على باطنه بأذواق القوم دون تعلم، فلا يدري كيف يعلم غيره لأنه لم يعرف المنازلات، والسالك صحب المشايخ وسلك المقامات وعلم عللها وتداخلها، فيدري كيف يعلم غيره، فالجواب أن الله تعالى يعلم بواسطة وبغير واسطة والشيخ بعض الوسائط.

والحاصل أن السلوك والجذب إذا كانا كاملين تساويا وكانا مما ينال بترادف ويعلم كل واحد من السالك، والمجذوب ما يعلمه الأخر ويقدر على ما يقدر عليه الآخر والفضل بيد الله يوتيه من يشاء.

---

(1) آل عمران : 128

(2) الإنسان : 30

(3) الكهف : 65

## العلم السابع

# في المشيخة والخدمة وتربية المشيخة

قال الله تعالى : ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾[1]. ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾[2]. فالشيخ داع إلى الله تعالى، قلت وغلب في لسان الصوفية مشايخ، كما غلب في لسان المحدثين في جمعه شيوخ، وفي لسان أشياخ، وفي الموطأ عن مالك أنه بلغه أن النبي ﷺ قال : «ما من داع يدعوا إلى هدىً إلا كان له مثل أجر من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، وما من داع يدعوا إلى ضلالة إلا كان عليه مثل أوزارهم ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً»[3].

روي عن سهل بن سعد : «أن النبي ﷺ لما أعطى الراية علياً يوم خيبر، وقال علي : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. قال : انفذ على رسلك، أي تؤدة حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب

(1) فصلت : 33

(2) يوسف : 108

(3) الحديث : في الموطأ عن مالك، كتاب القربان، باب العمل في الدعاء رقم 509

عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم»[1].

فأما مد الأيدي عند المشايخ في التوبة والاشتراط على من تاب أو دخل فيهم، ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت : «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومة لائم»[2].

وأما لباس الخرقة من أيدي الناس، ففي صحيح مسلم عن أم خالد بنت خالد قالت : «أتى النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال : من ترون نكسوا هذه ؟ فسكت القوم، فقال : إيتوني بأم خالد فأتي بها تحمد»[3]. وفي رواية : «أوتي بي فأخذ الخميصة بيده فألبسنيها وقال : أبلي واخلقي»[4] الحديث. والخميصة كساء أسود مربع له علمان.

وأما إكرام المشايخ فروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال : «ما أكرم شاب شيخاً لِسِنِّه إلا قيض الله له عند كبر سنه من يكرمه»[5]. وعن جابر قال : «جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى النبي ﷺ يوم فتح مكة، وكان رأسه ولحيته ثغامة، والثغامة بفتح الثاء مثلثة، أبيض الزهر يشبه الشيب، فقال عليه السلام : هلا تركته حتى نكون نحن الذي ناتيه، فقال أبو بكر هو الذي حق أن ياتيك من أن تأتيه»[6].

---

(1) الحديث : روي عن سهل بن سعد، البخاري كتاب الجهاد، باب فضل من أسلم على يديه رجل، رقم 2847

(2) الحديث : صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت، في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء رقم 1709

(3) الحديث : في صحيح مسلم عن أم خالد بنت خالد، والبخاري في اللباس رقم 5507

(4) الحديث : البخاري كتاب الجهاد رقم 2906

(5) الحديث : رواه ابن عباس، الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في إجلال الكبير رقم 2022

(6) الحديث : صحيح ابن حيان، كتاب الزينة والتطيب، رقم 5472

وأما حبس الركاب للمشايخ إذا ركبوا، فروى "أبو سلمة" أن "ابن عباس" أخذ بركاب زيد بن ثابت فقال له : تنح يابن عم رسول الله ﷺ قال : إنا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا.

وأما المشي مع ركاب المشايخ فروى "جابر بن سمرة" قال : «خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة فركب فرساً ومشينا حوله»[1].

وأما تقديم المشايخ في الكلام، ففي الموطأ في القسامة في حديث محيصة حين أقبل هو وأخوه حويصة، وحويصة أكبر، وأراد محيصة أن يتكلم بين يدي النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : «كبر كبر، يريد السن، فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة»[2]. وعن جابر قال : «قدم وفد جهينة على النبي ﷺ فقام غلام منهم فقال عليه السلام : فأين الكبراء»[3].

وأما سكوت الشبان بحضرة المشايخ، فروى ابن عمر أن النبي ﷺ قال : «مثل المومن أو المسلم مثل الشجرة الخضراء. فقال بعضهم هي كذا وقال بعضهم هي كذا قال وقد علمت ما يعني وكنت غلاما شاباً فاستحييت أن أقول هي النخلة»[4]. ففي صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال «كنت على عهد النبي ﷺ غلاما فكنت أحفظ عنه وما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالا هم أسن مني»[5]. وقال ابراهيم بن أدهم : "إذا رأيت الحدث يتكلم بين المشيخة فلا ترجوا خيره". وأخذ المصنف المشيخة في الترجمة يعني الصدر.

---

(1) الحديث : رواه جابر بن سمرة. وجدنا حديثا مخالفاً : «رأى ﷺ ناساً ركبانا فقال ألا تستحيون» الترمذي، كتاب الجنائز باب ما جاء في كراهية الركوب رقم 1012

(2) الحديث : كتاب القسامة، باب تبرئة أهل الدم في القسامة، رقم 1555

(3) الحديث : البيهقي في الشعب رقم 10996

(4) الحديث : صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول المحدث... رقم 61

(5) الحديث : صحيح مسلم كتاب الجنائز باب أين يقوم الإمام من الميت... رقم 964.

وأما تقديم المشايخ في العطاء ففي صحيح البخاري عن ابن عمر أنه عليه السلام قال : «رأيت في المنام كأني أستاك وعندي رجلان فدفعت السواك إلى أصغرهما فقيل كبر فدفعته إلى أكبرهما»[1].

وأما لزوم المشايخ عند الاجتماع فروى عبد الله بن بشر صاحب النبي ﷺ قال : «كنا نسمع أنه كان يقول : إذا اجتمع عشرون رجلا أو أكثر أو أقل فلم يكن فيهم من يهابُ في الله فقد حصر الأمر»[2].

وأما صحبة المشايخ، فروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال : «الخير مع أكابركم»[3]. ويروى : «البركة مع أكابركم»[4]. و لم يختلف فيمن لم يصحب المشايخ والفقراء أنه لا يجيء منه خير، لأن الصحبة ركن ولا ينبغي أن يصحب إلا الأمثل فالأمثل.

وأما استناد المشايخ للمخاد فروى جابر بن سمرة قال : «رأيت النبي ﷺ متكئا على وسادة على يساره»[5]. وعن "عتاب البكري" أن "أبا سعيد الخدري" كان يجلس على البساط ويتكئ على الوسادة ونحن حوله.

وأما اتخاذ السجادة للشيخ فروى النسائي عن ميمونة زوج النبي ﷺ قالت : «كان النبي ﷺ تبسط له الخمر»[6]، بضم الخاء معجمة، شيء صغير قدر ما يسجد عليه المصلي ينسج من سعف النخل ويرسل بالخيوط،

---

(1) الحديث : كتاب الوضوء، باب دفع السواك إلى الأكبر رقم 1
(2) الحديث : البيهقي في الإيمان رقم 9078
(3) الحديث : صحيح ابن حبان في البر والإحسان كتاب البر باب الصحبة رقم 559
(4) الحديث : صحيح ابن حبان في البر والإحسان كتاب البر باب الصحبة و... رقم 559
(5) الحديث : سنن «أبي داوود»، كتاب اللباس، باب في الفرش رقم 4143
(6) الحديث : مسند أحمد، كتاب مسند أنس رقم 11589 (بصيغة أخرى).

فإن كان أكبر فهو حصير، وأما ترك الجلوس على سجادة الشيخ أو غيره، ففي صحيح مسلم عن أبي مسلم الأنصاري أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمُّ الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه»[1].

وأما خدمة الشيخ لمن دونه فروى النسائي عن أبي قتادة الأنصاري قال: «قدم وفد النجاشي على النبي ﷺ فقام يخدمهم فقال الصحابة: نحن نكفيك يا رسول الله فقال: إنهم كانوا لأصحابي مكرمين إني أحب أن أكافيهم»[2].

## فصلٌ

لا يعترض علي المشايخ فان تصرفهم عن إذن وبصيرة، ولا يدخلون تحت جنس العالم الأول وعالم الحجاب الذين لم يتشوفوا إلى عالم الملكوت ولم تفتوا عقولهم إلا بالظواهر خاصة، فإن للمشايخ دقائق في تصرفاتهم وعباداتهم لا يعرفها إلا من هو منهم. قال رجل "لسهل بن عبد الله" : صحبتك ستين سنة ولم أر من البدلاء والأولياء الذين أحدهم يدخلون عليك كل يوم. قال له : "أوما رأيت صاحب الموعظة[3] والسواك الذي كلمك بالأمس، ذلك منهم". والأولياء منهم ظاهر للناس وخفي إلا عمن[4] يعرفهم، لأن عادة الله الستر. ومعرفة

(1) الحديث : كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة، رقم 673

(2) الحديث : البيهقي في الشعب باب السلام رقم 9125

(3) في «ر» : الفوطة

(4) في «ر» : عن من

الولي هي الولاية فإنه لا يعرف إلا بنور رباني، فقد تعتقد الولاية فيمن ليس بولي وبالعكس، وكذلك المشيخة. وقد يعتقد التصريف لشيخ، وهو تأثير نفساني وبالعكس. وقد تظهر المشيخة فيمن يظهر بالإيثار وإطعام الطعام ويأخذ من هذا ويعطي لهذا وهو في رتبة الخادم لا يعرف المقامات ولا المنازلات، وهم أكثر المشايخ اليوم.

والشيخ من جمع بين الظاهر والباطن مع الزهد والإيثار وأنواع العلم بالمقامات والمنازلات والأحوال والخواطر. وقال "الجنيد" : "من لا يكتب الحديث ويحفظ القرآن لا يقتدى به في هذا الأمر"، ولا يقتدى بمن يوجد في النفس غيره أكبر منه إذ لا ينتفع به، وإنما يقتدى بالعالم المتجرد عن الدنيا العامل بما يعلم، والنظر في كتب الصوفية والحكماء والعمل.

وأما الاجتهاد دون شيخ لا يوصل، فإن الطريق غويص قليل خطاره. وقد يظن السالك أنه على جادة وهو قد ولى ظهره لموضع توجهه، فإن شيطان هذا الطريق فقيه بمقاماته ونوازله، وحسبك بتمكنه من خليفة الله آدم الذي خلقه بيده ونفخ فيه واسجد له ملائكته واختصه بعلم الأسماء، فزين له حتى أنزله عن مقامه ليقضي الله أمرا كان مفعولاً. وقال "أبو عمرو الزجاجي" : "لو أن رجلا كشف له عن الغيب ولا يكون له أستاذ لا يجيء منه شيء"، وقال ابن شيبان[1] : "من ليس له أستاذ فهو بطال، وحذف الوسائط اختلال واثبات الفعل لها ضلال".

---

(1) ابن شيبان : وهو محمد بن عبد الله المعروف بشيبان الراعي، وافق سفيان الثوري وحج معه، مات بمصر، عن أخباره. أنظر : جامع الكرامات ح 1 في المحمدبين.

# فــصــــلٌ

يسلم للتلميذ في تعظيم شيخه وغلوه فيه ما لم يخرج بذلك إلى فساد أو تنقيص بالمشايخ أو وقوع فيهم، ولا يعترض على شيخه بباطنه ولا بظاهره، ولا يكتمه ما يطرأ[1] عليه ولا يتوقف فيما يامره به وإن خفي عليه وجه صلاحه فسيظهر له، فقد دخل أحدهم في التنور لما سمع ذلك من شيخه في حال انحراف الشيخ فنفعه الله بصدقه، ولا يمشي في شيء إلا على أمره ولا يمشي قدامه إلا بإذنه، وقد منع "عمر" رضي الله عنه ابنه "عبد الله «المشي بين يدي رسول الله ﷺ وكان تحته قعود صعب، فكان كلما خرج أمامه رده عمر»[2]. ولا يتكلم إلا بإذنه إلا إن سأله، ولا يتفقه في كلامه، ولا يسافر إلا بإذنه، ولا يقيم إلا عن اختياره الخدمة.

في الحديث أن النبي ﷺ كان يصلي على الرجل يراه يخدم أصحابه يريد يدعوا له بالخير. وروى أنس قال: «كنا مع النبي ﷺ فمنا الصائم والمفطر فنزلنا منزلاً في يوم حار شديد الحر، فمنا من يتقي الشمس بيده وأكثرنا ظلا صاحب الكساء يستظل به، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال عليه السلام: ذهب المفطرون اليوم بالأجر ففضل الخدمة على الصوم حين نقص الصوم الخدمة»[3].

---

(1) في «ر»: يخطر

(2) الحديث: لم نعثر عليه فيما لدينا من مصادر الحديث الشريف.

(3) الحديث: صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب أجر المقطر، رقم 1119

فأما الرفق بالخادم، فروي عن أنس قال : «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فوالله ما قال لي أف قط ولم يقل لشيء فعلته لم فعلت هذا ولم ولا لشيء لم أفعله هلا فعلت هذا»[1].

وأما حمل الخادم على رأسه، فروى "عبد الله بن حنظلة" أن "عبد الله بن سلام"، بتخفيف اللام، قربه وعلى رأسه حزمة حطب فقال : ادفع بهذا الكبر فإني سمعت النبي ﷺ يقول : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من الكبر»[2].

وأما وقوف الخادم عند أكل الجمع، فروى أنس قال : كنت قائماً أسقيهم وأنا أصغرهم سنا إذ جاء رجل فقال : «إن الخمر قد حرمت قالوا : اكفئها يا أنس، فكفأتها»[3]. وقد تقدم في خدمة المشايخ لمن دونهم أنه عليه السلام قام يخدم وفد النجاشي.

وأما تلقيم الخادم إذا لم يجلس، فروى أبو هريرة قال : «قال رسول الله ﷺ إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أُكلتين، بضم الهمزة، فإنه ولي طعامك بالملح، فإن في الملح شفاء من سبعين، وتصغر اللقمة وتجوّد[4] المضغ ويفضل الآكل بين يديه ولا يفضل وجوه الآكلين»[5].

---

(1) الجملة تحتها سطر زائدة في «ر» والحديث، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي رقم 4774

(2) الحديث : صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، رقم 91

(3) صحيح مسلم كتاب المظالم باب صب الخمر في الطريق رقم 2332.

(4) في «ر» : وتجويد

(5) الحديث : في كتاب الأطعمة، رقم 3289

# العلم الثامن

# فـي آدابهـم

## ـ أدبهم في الأكل :

وفي سنن أبي داود أنه عليه السلام قال : «إذا أكل أحدكم فلا ياكل من أعلا الصحفة ولكن ليأكل من أسفلها فإن البركة تنزل من أعلاها»[1]. رواه ابن عباس. وفي صحيح مسلم عن كعب بن مالك : «أنه عليه السلام كان ياكل بثلاثة أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها»[2]. وفي رواية : «كان ياكل بثلاثة أصابع فإذا أفرغ لعقها»[3]. وقال عليه السلام فيما روى ابن عمر : «إذا وضعت المائدة فلياكل أحدكم مما يليه ولا يتناول مما بين يدي جليسه ولا من ذروة القصعة فإنها تاتيها البركة من أعلاها»[4]. وفي سنن النسائي عن جابر بن عبد الله أنه عليه السلام قال : «إذا أكل أحدكم الطعام فلا يمسح يده حتى يلعقها ولا يدفع الصحفة حتى يلعقها، فإن آخر الطعام فيه بركة»[5]. وعن جابر أنه عليه السلام أمر بلعق القصعة والأصابع وقال : «إن أحدكم لا يدري في أي ذلك البركة»[6]. ويغمس الذباب فيما وقع فيه ثم يطرح، لما في صحيح

---

(1) الحديث : رواه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل من... رقم 3772

(2) الحديث : في كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع... رقم 2032

(3) الحديث : في كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع... رقم 2032

(4) الحديث : صحيح مسلم كتاب الأطعمة، رقم 3273

(5) الحديث : في صحيح مسلم كذلك، كتاب الأشربة رقم 20 32

(6) الحديث : في صحيح مسلم كذلك، كتاب الأشربة رقم 2032

البخاري عن أبي هريرة أنه عليه السلام قال : «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن أحد جناحيه شفاء والآخر داء»[1]. ويكرهون النفخ في الطعام لقوله عليه السلام فيما روت عائشة : «إن النفخ في الطعام يذهب البركة»[2]. وقال : «إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان»[3]. رواه مسلم عن أنس. ويخلعون النعال عند الأكل لقوله عليه السلام لأصحابه : «اخلعوا نعالكم عند الطعام فإنها سنة جميلة وهو أروح للقدم»[4]. رواه أنس. وإذا وضع الخبز لا ينظر غيره، ويكرمون الخبز لقوله عليه السلام : «أكرموا الخبز فإن الله سخر لكم السموات والأرض والحديد والبقر وابن آدم»[5]. رواه أبو موسى الأشعري. ويكرهون التصنع في الأكل لأن من يتصنع في الأكل لا يؤمن عليه التصنع في العمل، ولا يأكلون في وقت معلوم ولا يلقم بعضهم بعضاً وإن ألقم لا يرد. قال "النخشبي"[6] : "عرض علي طعام فامتنعت من أكله فعوقبت بالجوع أربعة عشر يوما فاستغثت بالله وتبت". ويتحسون المرق لما رواه ابن عباس : «أنه عليه السلام أهدى في حجته مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في رأسه برة من فضة، يعني حلقة، فنحر بيده منها أربعين وأمر ببقيتها فنحرت، ثم أمر بكل[7] بدنة منها فيضعه فطبخ، فأكل من اللحم وتحسى من المرق»[8]،

---

(1) الحديث : في كتاب بدء الخلق، الباب : إذا وقع الذباب في شراب. رقم 3142

(2) الحديث : سنن ابن ماجة، كتاب الأطعمة رقم ص 1094

(3) الحديث : سنن أبي داود، كتاب الأطعمة باب في اللقمة رقم 3278

(4) الحديث : رواه أنس، المصدر : مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، رقم 5496

(5) الحديث : مستدرك الحكم، كتاب الأطعمة رقم الحديث 7145

(6) النخشبي : هو أبو تراب النخشبي، عرف بالعلم والفتوة والتوكل والورع، مات سنة 245هـ، م م ص، حنفي ص 115 .

(7) في «ر» : من كل.

(8) الحديث : سنن البيهقي كتاب الحج، باب الأكل من الضحايا رقم 10371.

والبركة في الجمع لقوله عليه السلام، فيما روى سلمان : «البركة في ثلاثة : في الجماعة والتريد والسحور»[1]. وقال "الروذباري"[2] : إذا اجتمع الفقراء كان أرفق لهم وبذلك يفتح عليهم وتلى قوله تعالى : ﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾[3]. ويتحلق الجمع الكثير للطعام عشرة عشرة، فقد روى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام قال : «لا يقوم رجل حتى ترفع المائدة، ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفرغ القوم وليعذر فإن ذلك يخجل جليسه فيقبض يده وعسى أن تكون له في الطعام حاجة»[4]. ويكرهون الأكل فرادى لما روى وحكى ابن حرب عن أبيه عن جده أنهم قالوا : «يا رسول الله إنا ناكل ولا نشبع قال : لعلكم تفترقون على طعامكم، اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه»[5].

ويكرهون الشبع لما روى الترمذي عن مقدام بن معد كرب أنه عليه السلام قال : «ماملأ أدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم لقيمات يقمن[6] بها صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»[7]. ويتخللون بعد الطعام لقوله عليه السلام : «تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة»[8].

---

(1) الحديث : رواه سلمان الفارسي، شعب الايمـان، كتـاب التمسك بما عليه الجماعة، باب فصل في فضل الجماعة رقم 7520 .

(2) الرذباري : أبو علي أحمد بن محمد الرذباري، بغدادي أقام بمصر وصار شيخها ومات بها سنة 322هـ، صحب الجنيد والنوري وابن الجلاء. أنظر أخباره بالرسالة القشيرية.

(3) سبأ : 26 .

(4) الحديث : في شعب الايمان الكتاب 39، بـاب المطاعـم والمشـارب فصـل : من قرب شيئا ... رقم 5864.

(5) الحديث : المصدر : أبو داود، كتاب الأطعمة باب في الاجتماع على الطعام رقم 3764 .

(6) في «ر» : يقم

(7) الحديث : كتاب الزهد، رقم 2380

(8) الحديث : الترمذي، كتاب الايمان، باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الايمان، رقم ص 8

ويأخذ الأشنان لغسل الأيدي باليمين وكذلك الخلال والأشياء الطاهرة، ولا يزدرد ما يخرج من الأسنان، ومن أكل ما له عجم، فلا يجمع عجمه في كفه ولا في الطبق، بل يضعه من فيه على ظهر كفه ويرميه.

ويتستحبون الانصاف في الأكل، قال أبو هريرة : «فكان عليه السلام إذا أوتي بالتمر أو بالعجوة فأكلنا قال : يا هؤلاء إني قد قارنت فقارنوا[1]، ونهى أن يقرن أحد بين تمرتين حتى يستأذن أصحابه»[2]. ولا بأس بالقسمة لما في الموطأ عن "البهزي" واسمه "زيد بن كعب" : «أن النبي ﷺ خرج يريد مكة وهو محرم حتى إذا كان بالروحاء، إذا حمار وحشي عقير، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال دعوه فإنه يوشك أن ياتي صاحبه، فجاءه البهزي هو وصاحبه فقال يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار، فأمر عليه السلام أبا بكر فقسمه بين الرفاق»[3]. وروى "جابر بن عبد الله" : «أنه عليه السلام أخذ قرصا فوضعه بين يديه، ثم أخذ قرصا آخر وضعه بين يدي ثم أخذ الثالث فكسره باثنين فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يدي[4]».

ويرفعون للغائب في خدمة الجمع لأنه عليه السلام رد "عاصم بن عدي النوفلي" يوم بدر وضرب له بسهم مع أصحاب بدر. ويعضلون المتأهل على العازب لما روى عوف بن مالك قال : «كان النبي ﷺ إذا جاءه فيء قسمه من يومه فأعطى الأهل حظين والأعزب حظا واحداً»[5]. ويعطون من الهدية من حضرها. روى أ"بو سعيد الخدري"

---

(1) في «ر». : فاقرنوا
(2) البيهقي في الشعب، كتاب المطاعم والمشارب، فصل في أكل التمر رقم 5874
(3) الحديث : الموطأ كتاب الحج، باب ما يجوز أكله، رقم 781
(4) الحديث : صحيح مسلم، كتاب الأشرية، باب فضل الخل رقم 2052
(5) الحديث : مسند أحمد، الكتاب حديث عوف بن مالك، باب حديث عوف بن مالك رقم 23466

قال : «أهدى ملك الهند إلى النبي ﷺ فكان فيما أهدى إليه جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة فأطعمني قطعة»[1]. وقد يقدمون الطعام على الصلاة لما في الموطأ، أن "ابن عمر" كان يقرب إليه عشاءه فيسمع قراءة الإمام وهو في بيته، فلا يعجل عن طعام حتى يقضي حاجته منه. ولا يعيبون طعاما، وفي الصحيحين عن "أبي هريرة" : «ما عاب النبي ﷺ طعاما قط، كان إذا اشتهى أكله وإذا كرهه تركه»[2]. ويأكلون عند الأصدقاء إذا أخذهم الجوع لما في الموطأ عن "مالك" أنه بلغه : «أن النبي ﷺ دخل المسجد فوجد أبا بكر وعمر فسألهما فقالا : أخرجنا الجوع فقال : وأنا أخرجني الجوع، فذهبوا إلى "أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري"، فأمر لهم بشعير، كان عنده يعمل، وقام فذبح لهم شاة، فقال له الرسول ﷺ : نكب عن ذات الدر[3]، فذبح لهم شاة واستعذب ماء فعلق في نخلة، ثم أتوا بذلك الطعام فأكلوا منه وشربوا من ذلك الماء، فقال عليه السلام : لتسألن عن نعيم هذا اليوم»[4]. ولا بأس بالتصدق في طعام الصديق بغير إذنه إذا علم فرحه بذلك. وقد قصد منزل "الثوري" فلم يجدوه ففتحوا المنزل وانزلوا السفرة وأكلوا، فدخل سفيان وفرح، وقال ذكرتموني أخلاق السلف. ولا يأتي أحدهم لطعام لم يدع له إلا أن يعلم أن أصحاب الطعام يفرحون، ويكره الدخول على من هو يأكل. ومر "الحسن بن علي" بمساكين من السؤال قد نشروا كسرا على الأرض وهو على بغلة، فسلم عليهم، فردوا عليه السلام وقالوا : هلم القرى يابن عم رسول الله، قال : نعم، والله لا يحب المتكبرين، ونزل وأكل معهم. ويقال كن مع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا

(1) الحديث : الحاكم في المستدرك في كتاب الأطعمة، رقم 7190

(2) الحديث : صحيح البخاري، كتاب الأطعمة باب ما عاب النبي طعاما رقم 3370

(3) في «ر» : الملبن وفي «ع» و«ق» : اللبن

(4) الحديث : الموطأ، كتاب صفة النبي، باب جامع ما جاء في الطعام والشراب، رقم 1666

بالأدب، ومع الفقراء بالإيثار. ويكرهون طعام المباهات والأعراس، ولابد للآكل من إحضار قلبه وتذكر المنعم بالنعمة وتعمير[1] الطعام بالذكر. ويستحبون الدعاء قبل الطعام وبعده، اللهم صل علي سيدنا محمد وعلي آل سيدنا محمد، واجعل ما رزقتنا مما نحب عوناً على ما تحب وما زوَيْتَ عنا مما تحب فراغا لنا فيما تحب، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات، اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا. وفي سنن أبي داود عن "أبي سعيد الخدري" : «أنه عليه السلام كان إذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»[2]. وفيه أنه قال في بيت "سعد بن عبادة" : «أفطر عندكم الصائمون وأكلوا طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة»[3]. وكان يقول إذا رفعت السفرة : «الحمد لله حمدا دائما طيبا كثيرا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا، أي يا ربنا»[4]. ويقرءون بعد الطعام ﴿لإيلاف قريش﴾[5] و﴿قل هو الله أحد﴾[6]. ولا ياكلون إلا عن جوع. قال الروذباري : ومن آدابهم المبادرة بالطعام للفقير إذا دخل عليهم، وللفقيه بالسؤال، وللقارئ بأن يدلوه على المحراب.

**وأدب الشرب** : ذكر الله قبله وفي وسطه، والحمد لله في آخره، ولا يتنفس في الإناء، ويأخذه بيمينه. قال الجنيد : "بصفاء الطعام والملبس والمسكن يصلح الأمر كله".

---

(1) في «ر» : التغمير

(2) الحديث : أبو داود في الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذ أطعم، رقم 358.

(3) الحديث : أبو داود في الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام، رقم 3854.

(4) الحديث : البخاري في صفة الصلاة، باب فضل اللهم ربنا...، رقم 766.

(5) قريش : 1

(6) الإخلاص : 1

**أدبهم في اللباس** : اللباس ضروري كالطعام والشراب، والفقير يلبس بالعلم لا بالشهوة وبحسب ما يجب في الوقت، فلا يتكلف، إنما يلبس لله ويقصد ما يدفع به إذاية البرد والحر من طاهر حلال. وقال عليه السلام : «من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، أي فريضة ولا نافلة»[1]. وورد في ترك ثوب جمال وهو يقدر على لبسه، ألبسه الله من حلل الجنة. ومات "أبو يزيد" ولم يترك إلا قميصه الذي كان عليه، وقيل كان عاره فرده إلى صاحبه. قال "الجريري" وقد تقدم ضبطه : "كان في جامع بغداد رجل لا يُرى إلا في ثوب واحد شتاء وصيفا فسئل عن ذلك فقال : كنت مولعا بكثرة اللباس فرأيت ليلة كأني دخلت الجنة، فرأيت جماعة من الفقراء على مائدة فجلست لآكل معهم، فقيل لي قم هؤلاء أصحاب ثوب واحد، فنذرت ألا ألبس إلا ثوباً واحداً حتى ألقي الله تعالى". وقيل لبعضهم : "ثوبك مخرق قال : لكنه حلال، قيل إنه وَسِخٌ قال : لكنه طاهر".

**أدبهم في الجلوس :**

قال "إبراهيم بن أدهم" : "تربعت مرة فهتف بي هاتف : هكذا تجالس الملوك ؟". وقال "أبو يزيد" : "صليت ليلة فأغفيت فمددت رجلي فهتف بي هاتف : من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بالأدب".

**أدبهم في الجوع :**

قال "يحيى بن معاذ" : "لو كان الجوع سِرّاً، لا يضعه الله عند من يفشيه للعامة". وطعم بعضهم عند شيخ فقال : "لم آكل خمس ليال فقال الشيخ : جوعك جوع بخيل لا جوع فقر، عليك خرق وأنت تجوع".

(1) الحديث : مسند أحمد، رقم 5698

**أدبهم في المرض :**

قيل لممشاد[1] في مرضه الذي مات فيه : "كيف تجدك العلة، قال : لا أدري ولكن سَلُوا العلة عني كيف تجدني. قالوا : كيف تجد قلبك قال : فقدته منذ ثلاثين سنة". ولا يشتكون إلا لله مناجات قلبية لا غير، ويلزمون الصبر والرضى. ومرض أحدهم ستة أشهر فما أَنَّ أنة واحدة والدود في مواضعه من بدنه. وكانت "بسهل بن عبد الله" علة البواسير، فكان يتوضأ لكل صلاة و لم يعلم أحد بذلك ولا تطبب. وقد يتطببون ويرون الشفاء من الله تعالى، وأن الطبيب دالة كبعض الأولياء.

**أدبهم في الموت[2] :**

قال الجريري المتقدم الضبط : لما حضرت الوفاة الجنيد قال : ارضني للصلاة فرضناه و لم يزل ساجدا حتى فارق الدنيا.

(1) في «ر» : لمشاد
(2) أدبهم في الموت : وردت في «ر» ولم ترد في «ع» و«ق».

## العلم التاسع

# في توحيدهم

قال الله تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إلاه إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط﴾[1]. والكلمة المترجمة على التوحيد : لا إلاه إلا الله، وهي قاعدة الإسلام والإيمان والإحسان، والجامعة لمعاني التوحيد وعليها وضعت الملل، وبها جاء كل رسول وكل كتاب، ولا يقبل كل عمل دونها، ومعناها : إفراد الذات أبداً وأزلاً. وشرحها : قل هو الله أحد، والأحد منبني بنفي العدد، والواحد منبني بانقطاع النظر. ولما كان الاسم الأعظم قولك الله وهو المترجم عن الذات، وجميع الأسماء الحسنى شارحة لَهُ، وهو جامع لمعانيها كلها، قرنت به كلمة التوحيد لتوحده في الوجود، ولا يصح التوحيد بغيره. فلا يجزي لا إلاه إلا العظيم أو الحليم أو غير ذلك من أسمائه تعالى.

والناس في التوحيد ثلاثة أصناف : عامة وخاصة وخاصة الخاصة.

**فتوحيد العامة** : إفراد الذات عن الشريك بالقول المقبول من غير بحث ولا استدلال بمعقول وصناعي، وإلى هذا ذهب أهل القرآن والحديث والفقه احتياطا على الناس وخوفا من تشويش العقائد لقوله

(1) آل عمران : 18.

عليه السلام: «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذاته»[1]. ويقنع من العامي أن يعلم أن الله تعالى لا شريك له. ولا مثل له وأن له الصفات العلى. وقد شهد النبي ﷺ للخادم السوداء بالإيمان بكونها أقرت بالصانع وأشارت إلى الرفعة والسمو.

**وتوحيد الخاصة** : ما أثبته الأصوليون بالنظر والاستدلال في الذات والصفات والأفعال.

**وتوحيد خاصة الخاصة** : ما رأته الصوفية من العجز عن بلوغ كنه الأمر بعد الوقوف على ما أثبته الأصوليون، في ذلك قال "الجنيد" : "أشرف ما قيل في هذا المقام قول الصديق رضي الله عنه : "سبحان من لم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته". وقيل لعلي رضي الله عنه : "بم عرفت ربك ؟ قال : بما عرفني نفسه". وقال "ذوالنون" : "عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي". وقيل ليزيد : "بم عرفت ربك؟ قال : بأني لم أعرفه". قال الهروي : "توحيد العامة ما صح بالشواهد، وتوحيد الخاصة ما ثبت بالحقائق، وتوحيد خاصة الخاصة أن لا يرى في التوحيد دليلا لشدة ظهوره، فمن قائل لا إلاه إلا الله ومعناها : نفي الشريك وهو توحيد الجمهور، ومن قائل لا إلاه إلا الله ومعناها : لا على الحقيقة إلا الله، ومن قائل لا إلاه إلا الله ومعناها : لا فاعل غير الله، وكل على قدر ذوقه ومعرفته". ومن الزلات قول مَن قال بالحرية وهي ترك الأعمال إذا حصلت معرفة التوحيد، وقول من قال الأشياء كلها مباحة ما لم تعتد فترتفع الإباحة بالعدوان، وقول من يزعم أن الكدرات ذهبت عنه فتستوي عنده المرأة والحجر، وقول من يزعم أن صفات البشر تزول عنه ويتحد، والله الهادي لرحمته[2].

---

(1) الحديث : شعب الإيمان : «تفكروا... ولا تفكروا في الله» رقم 120

(2) في «ر» : إلى رحمته من شاء.

## العلم العاشر

# في الألفاظ الدائرة بينهم

لأهل كل طريقة وعلم ألفاظ يصطلحون بها على المعاني الموضوعة في تلك الطريقة في ذلك العلم، وهي تشكل على الغير، قلت وساق المصنف هنا نحو مائتين وخمسين لفظة رتبت ما اشتهر منها أو قارب الشهرة، على حروف المعجم تفسيراً لطالبها. وسقت باقيها آخراً ليقف عليها من رغب ألا يفوته من تلك الألفاظ شيء. على أن جميع ما وقع لي من نسخ هذا الكتاب كثيرة الخلل والاختلاف بالزيادة والنقص والتغيير لغير الرواية في هذا الفن. ولكن اجتهدت ما استطعت والله الموفق.

**الإِسمُ** : حروف الاستدلال على الذات، قيل وهو الحاكم على حال العبد في الوقت من الأسماء الإلاهية. **الأسماء** : علامات الحقائق. **الإشارة** : تكون مع القرب بحضور غير، وتكون مع البعد. **الأثر** : كلما ظهر للحواس وورد على القلب. **أنا بلا أنا ونحن بلا نحن** : يراد بذلك التخلي عن الأفعال أي لا فاعل إلا الله. **أنا أنت وأنت أنا** : هو ذهاب رسم المحب في محبوبه وغيبته بحضوره، كان مجنون بني عامر يقول عن ليلى أنا. **الأمر** : يقال على ما يوجد في النفس من غير سبب وقيل هو السر الوارد على النفس. **الأفعال** : كل ما سوى الله تعالى. **الأزل** : يعبر به عن

الماضي والحاضر وقيل الدوام الذي لا انقضاء له. **الأبد** : الإشارة إلى الآتي الحاضر وقيل القدم الذي لا أول له. **الأمد** : لحوظ العقل الدهر، وانقطاعه دونه، وعجزه عن الإحاطة به. **الانزعاج** : أثر الوعظ في قلب المومن، وقيل التحرك للوجد والانس. **الاصطلاح** : نعت وله[1] يرد على القلب فيسكنه بقوة سلطانه. **الاصطناع** : الاختصاص ويقال الجذب. **الأدب** : أدب الشريعة وهو الوقوف عند مرسومها. وأدب الخدمة وهو الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها. وأدب الحق وهو موافقة الحق بالمعرفة، وقيل أن تعرف ما له وما لك. والأديب من أهل البساط. **الافراد** : الرجال الخارجون عن نظر القطب، أي عن[2] مجاورته. قلت وقد يكون عن قطر، بالقاف مضمومة وطاء ساكنة، أي الخارجون عن ناحيته. **الأوتاد الأربعة** : رجال على أركان العالم الأربعة، وهم قبل البدلاء في الرتبة. **الإمامان** : رجلان أحدهما عن يمين القطب والآخر عن شماله. وقيل الذي عن يمينه نظره في الملكوت، والذي عن شماله نظره في الملك، وهو الذي يخلف القطب. **الأمناء** : هم الملامتية. **الانس بالله** : مشاهدة جمال الحضرة الإلاهية، وقيل الأنس جمال الجلال. **الاثبات** : إقامة أحكام العبودية. **الأمان** : السلطان الزاجر. **الاتحاد** : لغة تصيير الذاتين واحدة. **الأنانية** : قولك أنا فهي نسبة لها. **الريق** : محل الاعتدال في الأشياء. **الانتباه** : إيقاظ الحق للعبد. **البادي** : ما يبدوا على القلب. **البسط** : حال الرجاء في الوقت وهو وارد يرد على القلب يشير إلى الرحمة والأنس ويرد إلى تأويل المباحات وما منع منه. **القبض** : قيل هو ما يسع الأشياء ولا يسعه شيء. **البقاء** : رؤية العبد قيام الله تعالى على كل

(1) في «ق» : ولاً.

(2) في «ر» : محذوفة.

شيء، وقيل هو بقاء رؤية العبد قيام الله في قيامه لله، وقيل هو اسم لما يبقى بعد فناء الشواهد وسقوطها. **البلاء** : الاختبار، وهو ظهور امتحان الحق للعبد. **البون** : البينونة بلا نفس هو الذي لا تظهر عليه شهوة ولا غضب. **البدلاء** : سبعة وهم كل من سافر من موضع وترك به خليفة على صورته لا يعرف أنه فقد. **البعد** : الإقامة علي المخالفة. **البواده** : ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة فيجيب فرحا أو ترحا. **البرزخ** : العالم المشهود بين عالم المعاني والأجسام. **التواجد** : استعداد الوجد، وقيل اظهار حالة الوجد من غير حضور وجد، وقيل ما يمتزج من اكتساب العبد بالاستعداد للوجد. **التحقيق** : روية الوجود[1] بالحق. **التفرقة والفرق** : الإشارة إلى الكون والخلق، وقيل مشاهدة العبودية. **التجريد** : إماطة السوى والكون عن القلب والسر، وهو خلع النعلين، وقيل الانخلاع عن شهود الشواهد. **التفريد** : وقوفك[2] بالحق معك، وهو تفريد الشهود اتصالا. **الحسنة** : الاتصاف بمكارم الأخلاق وبصفات الروحانيين. **التخلي** : بالخاء المعجمة هو قطع العلائق، وهو قطع ما يعلق به القلب من غير الله، وقيل اختيار الخلوة والاعراض عن الكونين. **التحلي** : بالحاء المهملة، التشبه بالصادقين بالأحوال وإظهار الأعمال. **التجلي** : ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب. **التلوين والتلون** : تنقل القلب في أحواله، وهو عند الأكثر مقام ناقص، وعند المحققين مقام كامل، وحال[3] العبد فيه حال ازدياد. **التمكين** : التمكن في التلوين، وقيل التمكين حال أهل الوصول. **التلف** : ذهاب العبد بملاحظة الوجود. **التلبيس** : تورية

(1) في «ر» : الموجد.
(2) في «ر» : وقولك.
(3) في «ر» : والحال.

تشاهد معاني عن موجود[1] قائم، وهو تلبيس الحق على أهل التفرقة بالكون، وعلى أهل الجمع بروية. الفناء. **التدلي والترقي** : نزول المقربين وصعودهم. **التلقي والتولي** : أخذك ما يرد عليك من الحق ورجوعك إليه منه. **التصوف**[2] : الوقوف مع الآداب الشرعية والخلق الإلهية، ويقال بإزاء التخلق بمكارم الأخلاق وتجنب سفهائها[3]. **الجمع** : الإشارة إلى الحق بلا خلق، وهو غاية مقامات السالكين. **جمع الجمع** :الاستهلاك في الله بالكلية، وفناء الاحساس مما سوى الله تعالى : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[4]. **الجلال** : نعوت القهر من الحضرة الإلاهية. **الجمال** : نعوت الرحمة والأنس من الحضرة الإلاهية. **الجبروت** : عالم الأرواح. **الجلوة** : بالجيم، خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلاهية. **الجرس** : اجمال الخطاب بضرب من القهر. **الحق بالحق** : الله بالله، وكذلك منه له به من الله لله بالله. **الحال** : ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب، وشرطه أن يترك[5] ويعقبه الثقل بعد الثقل[6] إلى أن يصعق وقد يعقبه الصدار الخلاف، ومن قال بدوامه غلط. وقيل الحال تغيرات الأطوار على العبد. **الحضور** : حضور القلب بالحق عند غيبته عن الخلق، وقيل مشاهدة الحضرة الإلاهية بعد الغيبة بالحق. **الحيرة** : واردٌ يَرِدُ بتردد بين البقاء والفناء. **الحق** : هو الله تعالى، ذلك بأن الله هو الحق،

---

(1) في «ر» : وجود.

(2) في « ع» : و«ق» : الصوفي.

(3) التعريف كما ورد في مصطلحات ابن عربي : التصوف : الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا، وهي الخلق الالهية، وقد يقال بإزاء إتيان مكارم الأخلاق وتجنب سفسافها.

(4) الأنفال : 17 .

(5) في «ر» : ينزل

(6) في «ر» : المثل بعد المثل.

والحق ما أوجبه الله على نفسه وما وجب على العبد من جانب الله، وقد[1] يطلق على الوجد. **الحقيقة** : التي تقابل بإزاء الشريعة، وهي سلب أوصافك عنك بأوصافه، فإنه الفاعل بك منك لا أنت، ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾[2]. وقيل الحقيقة مشاهدة الربوبية، والحقائق في اللغة النسب[3]. **الحسّ** : الرجوع إلى التفرقة. **الحجاب** : هو السوي وهو في اللغة الستر. **حق اليقين** : ما حصل من العلم الإلاهي بواسطة الشريعة. **الحرية** : إقامة حقيقة العبودية، فيكون العبد حرا عما سوى الله تعالى. **الحرف** : خطاب الوجود. **الحَدُّ** : حيث منتهى العقل ووقوفه. **حجاب العزة** : تحير[4] العبد بما يلقى على بصيرته. **الخاطر** : انبعاث القلب بتحريك السر، فإذا حطر لا يثبت ويزول بخاطر آخر[5]. وقال ابن العربي : هو ما يَرِدُ على القلب والضمير من الخطاب، ربانيا كان أو ملكيا أو شيطانيا أو نفسانيا، وقيل الرباني من فوق القلب، والملكي من عن يمينه، والشيطاني من عن شماله، والنفساني من تحته[6]. **الخصوص** : الذين خصهم الله بالحقائق والأحوال. **الخلق** : عالم الملك ويقال على كل من وجد عن سبب. **الخضر وإلياس** : يعبرون بالخضر عن البسط وبإلياس عن القبض. **الخلوة** : محادثة السر مع الله تعالى. **الختم** : علامة الحق على القلوب[7] فلا يلتفتون إلى الخلق، فإن يشأ الله يختم على

(1) في «ر» : محذوفة.
(2) هُود : 56
(3) في «ر» : النساء
(4) في «ع» : و«ق» : عن
(5) في «ع» : بلا تراخ
(6) اصطلاحات ابن عربي، ص 61 ط 1. 1990. تحقيق : بسام عبد الوهاب الجالي. مع اختلاف في ترتيب الكلمتين نفسيا أو شيطانيا.
(7) في «ر» : القلب

قلبك، والختم في حق المبعدين الطبع والغفلة. **الدهش** : بهتة تقدم عقل المحب من سطوة محبوبه. **الدعوى** : أن تضيف النفس الفعل إليها. **الدفن والرمس** : الاحاطة بالقلب والاستيلاء عليه بالمحبة حتى يغيب عن كل موجود. **الذهاب**[1] : مغيب القلب[2] عن[3] حس المحسوسات بالمشاهدة. **الذات** : الحقيقة الثابتة. **الذوق** : أول مبادئ التجليات الإلاهية، عبارة عن البقاء بعقب الذهاب، وهو في اللغة بقية الحياة. **الرسم** : ما رسم الله به المخلوقين في سابق علمه، وقيل هو الكون. **رؤية القلب والروح** : مشاهدة ليس يحضُرها غير الشهود. **الرمس** : ذكر في الدفن. **رب حال** : يعني صاحب قلب غير أنه لا يثبت له المقام كثبوته لصاحب القلب. **الرغبة والرهبة** : الرجاء والخوف. **الرعونة**: الوقوف مع الطبع. **أثر الرداد** : الظهور بصفة الحق. **الرؤية** : المشاهدة بالبصر. **الزوائد** : زيادة الإيمان بالغيب واليقين به[4]. **الطوالع** : أنوار التوحيد تطلع على قلوب العارفين فتطمس غيرها. **الطارق** : ما يطرق قلوب العارفين على طريق السمع فيجدد لهم حقائقهم. **الطمس** : عجز العقل وسد باب العزة في وجهه، ومحو البيان. **الطريق** : عبارة عن مرسوم الله وحدوده. **الطبع** : ما سبق به القلم في حق كل شخص. **الظل** : وجود الراحة خلف الحجاب. **الكشف** : بيان ما تستر عن الفهم فينكشف للعبد كأنه رآه عيانا. **الكون** : اسم لجامع[5] ما يكون بين الكاف والنون. **الكمال** : نعت للحضرة الكاملة. **الكرسي** : موضع الأمر والنهي كلمة الحضرة كن.

---

(1) في «ع» و«ق» : الدهاء

(2) في «ر» : العقاب.

(3) في «ر» : على

(4) في «ع» «زيادة القلب الايمان بالغيب واليقين به» وكذا في «ق».

(5) في «ر» : لجميع.

**اللوائح** : ما يلوح للأسرار الظاهرة من الزيادة في الارتقاء والصعود. **اللوامع** : ما يبدو من أنوار التجلي أو يتبين، أو قريبا من ذلك، مأخوذ من لمعان البرق عن عالم الحقائق. **اللحظ** : ملاحظة القلوب ما يلوح[1] لها من زوائد اليقين. **اللطيفة** : كل إشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم لا تسعها العبارة، وتقال عن النفس الناطقة. **اللوح** : محل الدوين والتسطير. **اللب** : ما حبب[2] من العلوم عن القلوب المتعلقة بالكون. **المقام** : ما يقوم به العبد كالصبر والرضى وغيرهما من أنواع المعاملات والمجاهدات، وقيل تسمى مقاما لإقامة العبد فيه. **المكان** : عبارة عن منزلة لا تكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والأحوال وحازوها، فلا صفة لهم ولا نعت. **المريد** : المتجرد عن إرادته. وقال أبو حامد[3] : هو الذي صح له الابتداء ودخل في عباد الله المنقطعين إليه. وقيل الذي صح له الابتداء و لم يرتسم بحال ولا مقام. **المراد** : المجذوب عن إرادته مع تهييء الأمور فجاز الرسوم والمقامات لا بحاله ولا بعلمه، و لم تبق له إرادة. **المسلوب** : المأخوذ بالجذب من العالم الأول، وقيل هو الذي كانت له حالة شريفة فسلب[4]. **المأخوذ** : كالمسلوب إلا أنه لا يكون إلا صاحب سكر. **المشاهدة** : رؤية الأشياء بدلائل التوحيد وتطلق على روية الحق بالأشياء وبإزاء تحقيق رؤية زيادة الحال وبإزاء حقيقة اليقين من غير شك. **المشهود** : هو الحق تعالى. **الموجود** : ما خرج من العدم إلى الوجود. **المفقود** : ما

---

(1) في «ر» و«ق» : يقوم.

(2) في «ر» : جبر

(3) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، ولد سنة 450هـ بطوس وتوفي بها سنة 505هـ. له عدة مصنفات في كل فروع المعرفة، من فقه ودين وأخلاق وتصوف وفلسفة ومنطق.

(4) في «ر» : فسلبت.

خرج من الوجود إلى العدم. **المناجات** : خطاب العبد للحق، والمصلي يناجي ربه. **المنازلات** : الرجوع إلى المقامات بعد قطعها للعبارة والترجمة للمريدين، ومنازلات الأحوال منازعة العوالم القلبية. **المحادثة** : خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة، كالنداء من الشجرة لموسى عليه السلام. **المسامرة** : خطاب الحق للعارفين من عالم الملكوت والأمر. **المحو** : ذهاب العبودية لقيام الله عليها بالوجود، وقيل المحو رفع أوصاف العادة، وقيل ما ستره الحق ونفاه عنك من قبائحك. **المقصود** : الغاية لكل واقع ورد على القلب. **المعدوم** : ما خرج بحيز[1] الوجود ثم لم يلبث. **الملكوت** : عالم العقول. قلت وقال أبو حامد في الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبهمة، عالم الملكوت ما أوجده الله بالأمر الأزلي بلا تدريج وبقي على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه، وهو الباطن في العقول. وعالم الملك ما ظهر للحواس وتكون بقدرة الله تعالى على بعضه من بعض وصحبه التغير. وعالم الجبروت فما[2] بين العالمين مما يشبه أن يكون في الظاهر من عالم مجبر بالقدرة الأزلية بما هو من عالم الملكوت، وكثير من هذه الألفاظ منقول من تلك الأجوبة ومن رسالة أبي القاسم القشيري[3]. **المبتديء** : الداخل في طريقة الله المجذوب[4]، الذي أختطف وسُير على المقامات. **المسافر** : الذي عبر عن العدوة الدنيا إلى العدوة القصوى، أي خرج عن الأوصاف الدنية إلى الأوصاف العلية. ويقال على السالك وهو المسافر بقلبه. **الملامتية** :

---

(1) في «ر» : لحيز

(2) في «ر» : ما

(3) هو : عبد الكريم القشيري صاحب الرسالة في التصوف توفي سنة 465هـ.

(4) في «ق» و«ع» : محذوفة.

الذين لا يبدون على ظواهرهم مما في بواطنهم شيء. **المجاهدة** : مخالفة الهوى. **المحو** : ذهاب التركيب تحت القهر. **المحاضرة** : الوقوف مع الله تعالى. **المكاشفة** : أتم من المشاهدة وقيل المشاهدة أتم، لأنها سقوط الحجاب بنا. **المكر** : حالة المسلوب وهو ارداف النعم مع المخالفة، وابقاء الحال مع سوء الأدب، واظهار الكرامات بلا أحد ولاحد، وقيل المكر في النعم الباطنة والاستدراج في النعم الظاهرة. **المطالعات** : توقيعات الحق للعارفين. **المخدع** : موضع ستر القطب من الافراد الواصلين. **المطلع** : بشد الطاء، النظر إلى عالم الكون بعين الحق. **المثل** : الإنسان، والمراد صورته التي فطر عليها، لأنه عالم صغير مثل العالم الكبير. **النفس** : روح يرسله الله على نار القلب ليطفىء به شررها[1]. **نحن بلا نحن** : ذكر في أنا بلا أنا. **النقباء** : الذين يستخرجون خبايا النفوس وهم ثلاثمائة. **النجباء** : المشغولون بحمل أثقال الخلق، وهم أربعون. **النوالة** : الخلع التي تخص الأفراد. **النون** : علم الاجمال والقلم علم التفصيل. **النور** : كل وارد إلاهي يكشف الأكوان عن القلب، والظلمة ضده. ونقل الظلمة على النظر في الذات، فإنها لا ينكشف معها غيرها. **الصفاء** : خلوص الحقائق. **الصحو** : رؤية الفعل، وقيل[2] الرجوع إلى عالم الاحساس بعد الغيبة بوارد قوى. **صاحب قلب** : هو الوافد العبودية الموثر في الكون. **صاحب مقام** : هو الذي اشتهر بخرق العادات. **الصفات** : نعوت القوم. **الصعق** : الفناء عند التجلي. **الصفة** : ما أوجب لمحله معنى، كالعالمية للعالم يوجبها العلم. **الضياء** : الرؤية بعين الحق. **العارض** : ما يعرض للقلب من الخواطر المذمومة بالقاء النفس أو الشيطان. **العمل** : هو

---

(1) في «ر» و«ق» : بشررها

(2) في «ر» محذوفة.

الذي يقضي بخلع الأكوان وبخلعه هو في الجملة. **عالم الملك** : هو عالم الجسوم. **العبادة** : الاجتهاد في أداء الوظائف التكليفية. **العبودية** : رؤية العبد نفسه بالله. **العبودة** : مشاهدة العبد نفسه برؤية العبودية. **عين التحكيم** : اظهار الولي مرتبته لأمر يراه. **علم اليقين** : ما أعطاه الدليل. **عين اليقين** : ما أعطاه المشاهدة والكشف. **العلة** : تنبيه[1] الحق للعبد بسبب أو بغير سبب. **العارف** : من أشهده الرب نفسه فظهرت عليه الأحوال، والمعرفة حاله. **العرش** : مستوى الأسماء المقيدة. **العيد** : ما يعود على القلب من التجليات بإعادة[2] الأعمال. **الغيبة** : غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق، لشغل الحش بما ورد عليه، وقيل غيبة العبد بشهود الحق. **الغلبة** : قوة الهجوم. **الغيرة** : غيرة في الحق لتعدي الحدود وتطلق بإزاء كتمان الأسرار. **الغوث** : القطب إذا التجأ الوقت[3] إليه. **الغيب والشهادة** : الملك والملكوت. **الفناء** : فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله تعالى على ذلك في : ﴿كل من عليها فان﴾[4]. وقال الهروي : «اضمحلال ما دون الحق علما وهو فناء المعرفة في المعروف، ثم بحد وهو فناء العيان في المعاين، ثم حقا وهو فناء الطلب في الوجود». **الفوائد** : ما يرد على القلب من المعارف عقب التوجه. **الفصل** : التفرقة بين القديم والمحدث، وقيل الفصل : تمييزك عن محبوبك بعد حال الاتحاد. **الفرق والتفرقة** : المذكورة قبل. **الفترة** : خمود نار البداية. **الفرق** : حب العبادة ظاهرا والحلاوة باطنا ووجود المكاشفة. **الفوهانية** :

---

(1) في «ر» : شبيه.
(2) في «ق» و«ع» : بلا عادة، وفي «ر» فلا عادة.
(3) في «ر» : انجال وقت
(4) الآية : الرحمان : 27

خطاب المكافحة الوجودية. **الفقر** : نهاية التصوف، وقيل البراءة الملكية. **القادح** : يكون لأهل الغفلة إذا انقشع عن قلوبهم غيم الغفلة، يقدح فيها قادح الذكر، مأخوذ من قدح الزناد. **القبض** : حال الخوف في الوقت، وهو وارد يرد على القلب يشير إلى عتاب، وقد يرد على أهل المعرفة فيمنعهم عن تناول المباحات والأكل والشراب. **قطع العلائق** : ذكر في التجلي. **القطب** : أكمل أهل زمانه، وهو موضع نظر الله من العالم. قلت وفي عوارف السهروردي. **القطب**[1] : أهل زمانه: هو الذي يضاهي الخضر ويجاريه في العلم والأحوال، وهو رحمة الله في الأرض، وغياث الأمة، والبدل من النبي ﷺ، والوارث لبعض مقاماته، وبعده الأوتاد الأربعة في نواحي الأرض الأربع بمنزلة الخلفاء الأربعة، وبعدهم الأبدال الستة باقي العشرة المشهود لهم بالجنة، وبعدهم النقباء الأربعون بمنزلة الأربعين أهل الدار يوم أسلم عمر وظهر الإسلام، وبعدهم النجباء وهم ثلاثمائة بمنزلة أهل بدر، وبعدهم الصالحون المتفرقون في الأرض، ومن مات من عددهم خلفه آخر من العدد الذي يليه، لايزالون كذلك فإذا أراد الله خراب الدنيا لم يبق منهم أحد. والنقباء والنجباء في هذا الكلام يخالفون ما ذكر المصنف قبل. وقال أبو عبد الله محمد بن مالك فيما روى عن محمد بن العابد عن الخضر : «الأولياء ثلاثمائة والنجباء سبعون والأوتاد أربعون والنقباء عشرة والعرفاء سبعة والمختارون ثلاثة والغوث واحد من العدد الذي قبله، ويخلفه الوالي واحد من فضلاء الناس، وكذلك إلى يوم القيامة». فذكر أن الأوتاد أربعون وذكر العرفاء عوض البدلاء، ولم يذكر الأفراد ولم

(1) في «ق» و«ع» "الجملة قطب أهل زمانه" محذوفة.

يذكرهم السهروردي. **القرب** : القيام بالطاعة. **القلم** : [1] ذكر في النون. **القشر** : كل علم يصون المحقق. **القدم** : ما ثبت في علم اليقين. **السانح** : الوارد الذي يخطر على القلب ولا يثبت. **السكر** : غيبة بوارد قوي، وهو يشار به إلى سقوط التمالك في الطرب، وهو من مقامات المحبين. **السر** : المعنى القائم على قلب العبد فلا يعلم به إلا الحق، وسر السر السبب في رؤية الوسائط. **السرمد** : الأبد. **السالك** : هو السابق بقلبه. **السائر** : هو الذي لا يقول بنهاية وفتح له باب الملإ الأعلى. **السفر** : توجه القلب للحق. **السحق** : بمعنى المحق. **السمسمة** : معرفة لا تسعها العبارة. **السّوي** : بكسر السين، هو الغير. **الشاهد** : ما تعطيه الإشارة المشاهدة بالأثر في القلب المشاهد، فشاهدك ما هو حاضر قلبك، وقيل الشاهد[2] الحق والمشهود الخلق. **الشطح** : ترجمة اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرونا بالدعوى. **الشفع** : وجود العبودية وهو الوسائط، وقيل الشفع الخلق، والوتر الحق، والشريعة الأمر بالتزام العبودية. **الشرب** : أوسط التجليات وأكملها الري. **الشجرة** : الإنسان الكامل. **الهاجس** : الخاطر الأول الرباني وهو لا يخطئ وقد يسمي عند سهل [3] السبب الأول، وإذا تحقق في النفس سمي إرادة، فإذا زاد فيسمى هَمّاً، فإذا زاد سمي عزماً، ويسمى عند التوجه للفعل قصداً، ومع الشروع في الفعل نية. **الهجوم** : ما يرد على القلب بقوة القلب من غير تصنع، وقيل وارد يرد بقوة طلب في الزيادة وبه يكون فعل صاحبه. **الغلبة** : الهاجم، جمع الأخبار لخبر واحد هو بلا هو إشارة إلى التفريد،

(1) في «ع» و«ق» : القدم وهو تحريف، ارجع إلى مصطلح : :النون:.
(2) في «ر» : المشاهد.
(3) سهل : وهو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، أحد أئمة الصوفية. كان صاحب كرامات، لقي ذا النون المصري بمكة، سنة 283هـ. أنظر الرسالة.

إنه هو، ولا قائل يقول هو ولا هو بظهور هذين الحرفين الهاء والواو. **والهيبة** : أثر مشاهدة جلال الله في القلب. **الهمة** : جمع الهمم[1] بصفاء الالهام. **الهوية** : تقال على الحقيقة في عالم الملكوت. **الوارد** : ما يرد على القلب من القبض والبسط من غير أن يعمله العبد، ويطلق بإزاء ما يرد من كل اسم على القلب. **الواقع** : ما يثبت ولا يزول إلا بواقع آخر مثله. **الوقت** : عبارة عن حالة في زمن الحال لا تعلق بها بالماضي ولا بالمستقبل. **الوَجد**[2] : مصادفة القلب الصفاء بذكر كان بعده. قلت وهو في العوارف ما يرد على الباطن من الله فيكسبه فرحا أو حزنا أو غيره من هيئته. **الوصول** : خلع الكونين وهو عبارة عن ورود ماء التوحيد. **الوسم** : ما طبع الله به على قلوب عباده. **الوصل** : إدراك الفائت. **الوطن** : بلوغ المقام الذي جذب العبد. **الوتر** : إشارة إلى جمع بلا ملاحظة الله. **الواقف** : الذي لم يفتح له باب الملكوت الأعلى وقد يلبس عليه الوصول. **الوحدة** : جمع الجمع. **الواقعة** : ما يرد على القلب من خطاب أو مثال من الغيب. **اليقظة** : الفهم عن الله في زجره.

## فصلٌ

وهذه الألفاظ الباقية أسوقها كما ذكرها المصنف لكن على ترتيب الحروف. **الإلهية** : كل اسم مضاف إلى البشر. **الآلية** : كل اسم مضاف

(1) في «ع» و«ق» و«ر» الهم وهو خطأ. وتعريف مصطلح الهمة كما في اصطلاحات ابن عربي هو ما يطلق بإزاء تجريد القلب بالمنى، ويطلق بإزاء أول صدق المريد، ويطلق بإزاء جمع الهمم لصفاء الإلهام.

(2) في «ق» و«ع» : الوجل

إلى روحاني. **الجسد** : كل روح ظهر في جسم ناري أو نوري. **الدرة البيضاء** : العقل الكلي. **الزمردة**[1] **الخضراء** : النفس الكلية. **العنقاء** : الهباء الذي فتق الله فيه أجسام العالم. **العقاب** : القلم، وهو العقل الأول. **الغراب** : الجسم الكلي. السِّوَابُطون : الحق في الخلق وبالعكس. **الهواء** : الغيب الذي لا يصح في عالم الشهادة شهوده. **الورقاء** : النفس الكلية.

قلت هذه الألفاظ في هذا الفصل ومعظم الألفاظ التي قبلها، منقول من شرح الألفاظ، تتداولها الصوفية، للإمام أبي عبد الله محمد بن العربي الحاتمي الطائي رحمه الله.

وهذا آخر ما أثبتته يد الانتقاد والتصحيح وقرره بنظر التهذيب والترجيح، والله يجعله عملا حميداً وقصداً سديدا بمنه وكرمه آمين يا رب العلمين.

كملت الرسالة العلمية بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده وعلى آله وصحابته.

في الرابع والعشرين من شعبان عام 1223م.

---

(1) في «ق» و«ع» : الرقدة

-1-

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

يقول [illegible] الشيخ [illegible] الأستاذ الأوحد [illegible]
[illegible] الحاج [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عنه

الحمد لله الذي جعل الفقر منة أوليائه وصفوته ونورهم بأنوار معرفته
وخصهم [illegible] ببدائع حكمته [illegible] ومظاهرهم وأجرى على ألسنتهم
[illegible] تدبر [illegible] وذلك [illegible]
لسنته والصلاة التامة على سيدنا [illegible] اختار [illegible]
وشد [illegible] عن [illegible] والرضى عن أصحابه و[illegible]
[illegible] إشارة إلى ما يعتمده الفقراء [illegible] من الصوفية [illegible]
[illegible] رسالة الشيخ الصوفي أبي الحسن الششتري رحمه الله [illegible]
[illegible] طريقهم و[illegible] ويعد من [illegible]
[illegible] الأحاديث النبوية و[illegible] والآثار الصوفية
[illegible] التصوف [illegible] محمد بن [illegible] بن علي المقدسي
ومن عوارف المعارف للإمام [illegible] أبي عبد الله [illegible] حفص عمر بن محمد
بن عبد الله البكري السهروردي [illegible] رحمه الله [illegible]
[illegible] النواظر [illegible] الأزاهر [illegible]
ترتيبه [illegible] ومواضع [illegible] والتيسير [illegible] في الأكثر [illegible]
زيادة عليه [illegible] والتبديل والتغيير [illegible] بعض الكلام
[illegible] معنى [illegible] بعد [illegible]
ورتبت ألفاظه [illegible] منه على حروف المعجم [illegible]
[illegible] وأحكم [illegible]
[illegible] الصوفية [illegible] بالمصنف رحمه الله
[illegible] بالمصنف رحمه الله [illegible]
الصوفي [illegible] أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري [illegible]
[illegible] مضمونه [illegible]
[illegible] معلوم [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم — صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ الفقيه الأستاذ الأوحد [illegible]
الصوفي المتفنن [illegible] الأفضل أبو عبد الله [illegible]
ابن الشيخ [illegible] جعفر أحمد ابن إبراهيم بن ليون التجيبي
رحمه الله تعالى ورضي عنه

الحمد لله الذي جعل الفقر حلية أوليائه وصفوته، ونور قلوبهم بأنوار معرفته ورحمته، وفجر ألسنتهم بينابيع حكمه وحكمته، [illegible] بما اختصهم به من لطفه ونعمته، [illegible] بعض الفقراء منهم [illegible] سنة ولا تبديل السنة. والصلاة التامة على سيدنا محمد الذي اختار الفقر وأثنى على رتبته، وشيد الحنيفية السمحة بخليقته العظيم وسيرته، والرضى عن أصحابه وآله وعترته.

وبعد فهذه إشارة الرسالة [illegible] الفقراء المتجردين من الصوفية [illegible] انتقيتها من رسالة الشيخ الصوفي أبي الحسن الششتري رحمه الله [illegible] الظاهر [illegible] وأضفت له [illegible] مما تضمنته من الأحاديث النبوية [illegible] من طرائق الصوفية [illegible] النصوص [illegible] محمد بن طاهر بن علي المقدسي [illegible] المعارف للإمام شهاب الدين أبي عبد الله [illegible] عمر بن محمد بن عبد الله البكري السهروردي [illegible] [illegible] [illegible] التطويل والتفهيم [illegible] بعض الكلام [illegible] مواضع بعد

تنبيه [illegible] العلم [illegible] الرسالة العلمية [illegible] الفقراء المتجردين من الصوفية [illegible] أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري الأندلسي [illegible] والثانية ساكنة بعدها تاء مثناة [illegible] الفقراء [illegible] والتجرد والعبادة [illegible] بالتجرد [illegible] سنة خمسين وستمائة [illegible] التجرد [illegible] الفقراء [illegible] الفقراء وذكره [illegible] أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني قاضي بجاية في كتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بمدينة بجاية [illegible] الفقيه الصوفي الصالح العابد أبو الحسن الششتري من الطلبة المحصلين والفقراء المنقطعين له علم بالحكمة ومعرفة [illegible] الصوفية وله تقدم في النظم والنثر [illegible] [illegible] [illegible] وكان كثيرا ما يجود عليها [illegible] [illegible] الكرامات [illegible] أحمد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النبي صلى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ الفقيه الأستاذ الأوحد المتفنن
المتصوف المتقن الصالح الأفضل أبو عثمان سعيد
الشيخ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن لبون التجيبي
رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين

الحمد لله الذي جعل العلم حلية أوليائه وصفوته ونورهم بأنوار معرفته ورحمته وفجر ألسنتهم بينابيع حكمه وحكمته وكشف لهم من الأسرار ما ليس بالاختصاص به من لطفه ونعمته وحجب بعض الكبراء منهم أن يعرفوا وتلك سنته ولا تبديل لسنته والصلاة التامة على سيدنا محمد الذي اختار الله من بريته وشرفه بالحنيفية السمحة بخلقه العظيم وسمو قدره والرضى عن أصحابه وآله وعترته وبعد فهذه إشارة إلى ما يتضمنه العقد من التجريد من الصوفية في كثير من أبياته ومن رسالة الشيخ الصوفي أبي الحسن الششتري رحمه الله ورغبة ذلك في حفظه لمن يفهم وليعتز من حسن الكلام ومن يفهم وصححت له الأكثر مما تضمنته الأحاديث النبوية ومن ثبت له ما حوته من الآثار الصوفية وأكثر ذلك من صفوة التصوف للإمام أبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي ومن عوارف المعارف للإمام شهاب الدين أبي عبد الله أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله البكري السهروردي بخط الفقير رحمه الله على أنه لحن من عيون رسالة القشيري رحمه الله اقتطفت من أبي رضاته إلا إذا هو من خلال تعقيبه في مواضع فصل للمناسبة والتقسيم ووصلت كلامه بلفظه في الأكثر من

غير

غير زيادة عليه تعاليلا للتطويل والتعسير [illegible]
ومن تأمل معنى لفظ بيتهم وكملت به [illegible]
العلم الذي هو على حروف المعجم [illegible]
وأحكم وسميتها الإفادة العلمية في الإشارة [illegible] من العقد
المتجرد من الصوفية وقد قدمت من التعريف بالصنف [illegible]
الله ما يرتبه ويسير به التعريف بالمصنف رحمه الله
هو الإمام الصوفي المتجرد أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري
الأندلسي ونشتر بشين معجمة ونون مضمومة والتاء المثناة بعدها تاء
مثناة فوقية معجمة من أعمال وادي آش ومن قرى الششتر ونشأ بها وشدا
أيضا من العلم وساح بالآفاق ولقي المشايخ وسمي إلى بلاد عدة جهات
وأكثر التجرد والعبادة واجتمع بالشيخ ابن سبعين الأندلسي الإمام الفقيه
سنة خمس وستمائة فقال الفقيه وهو على قدم التجرد وله أشعار
وأذواق في كلام القوم وذكره الفقيه أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد
الله بن محمد بن علي الغبريني قاضي بجاية في كتابه عنوان الدراية فيمن عرف من
العلماء في المائة السابعة ببجاية فقال الفقيه الصوفي الصالح
العابد أبو الحسن الششتري من الطلبة المحصلين والفقراء المنقطعين له علم
بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية وله تقدم في النظم والنثر على طريقة التحقيق
وأشعاره في ذلك وتواشيحه ومقطعاته وأزجاله غاية في الانطباع وكان
كثيرا ما يجتمع عليه الفقراء ومن كلامه رحمه الله أبيات منها أنه قال مؤرخا

# فهرس الآيات القرآنية

## (حسب ورودها في الكتاب)

# فهرس الأحاديث النبوية

# فهرس المصطلحات الصوفية والفلسفية

# فهرس الأعــلام

ـ ب ـ



ـ ت ـ

ـ ن ـ



ـ هـ ـ



ـ و ـ

# فهرس المصادر والمراجع


• القرآن الكريم
• الحديث النبوي الشريف
• ابن برجان (عبد السلام)
- كتاب " تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم" مخطوط المكتبة الوطنية ميونخ رقم 83.
• ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم)
- لسان العرب دار المعارف، دون تاريخ
• ابن الخطيب (لسان الدين)
- "روضة التعريف بالحب الشريف"، تحقيق محمد الكتاني ط 1 الدار البيضاء 1970.
- "الإحاطة في أخبار غرناطة" ط 2 القاهرة 1974.
• ابن النديم (محمد بن اسحاق)
- "الفهرست" دار المعرفة بيروت دون تاريخ
• ابن أبي زرع (على)
- "الأنيس المطرب بروضة القرطاس"، الرباط 1973.
ابن عجيبة (أبو العباس)
- "شرح النونية للششتري"، مخطوط الخزانة العامة الرباط رقم 1736/8 د.
• التفتزاني (أبو الوفا)
- "ابن عطاء الله الأسكندري وتصوفه" ط 1، القاهرة 1975

- "ابن عباس الزيدي" : مجلة الأندلس، مدريد ، ج 6 1958.
- "التعريفات" ط 1 دار الفكر 1977.
• حنفي (عبد المنعم)
- "معجم مصطلحات الصوفية"، ط 1، بيروت 1980.
• الحنبلي (ابن رجب)
- كتاب "جامع العلوم والحكم" ط 1، بيروت 1408هـ
• السهروردي (أبو حفص عمر)
- "عوارف المعارف" ضمن ج 5 من إحياء علوم الدين للغزالي، بيروت، دون تاريخ.
• الششتري (أبو الحسن)
- "المقاليد الوجودية"، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم 149 تصوف
- "الرسالة البغدادية" نشر وتقديم : "مري تريز أورفوي"
- "الديوان" تحقيق د. النشار، ط 1 الاسكندرية 1960
• الصغير (عبد المجيد)
- "إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في ق 19/18، ط 1 المغرب 1988
• عنان (محمد بن عبد الله)
- "نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين" ط 2، القاهرة 1966
• العدلوني الإدريسي (محمد)
- "فلسفة ابن عربي الصوفية" ط 1 الدار البيضاء دار الثقافة 1998
- "فلسفة الوحدة في تصوف ابن سبعين" ط 1 الدار البيضاء دار الثقافة 1998
- "معجم مصطلحات التصوف الفلسفي" ط 1 دار الثقافة الدار البيضاء 2002.
• الغبريني (أبو العباس)
- "عنوان الدراية"، تحقيق عادل نويهض 1979

• القاضاني (عبد الرزاق)
- "كتاب اصطلاحات الصوفية"، تحقيق محمد كمال ابراهيم ط 1 مصر 1981.
• القفطي
- "أخبار العلماء بأخبار الحكماد" بيروت دون تاريخ
• كرم (يوسف)
- "تاريخ الفلسفة اليونانية" دار القلم، بيروت دون تاريخ
• المقري التلمساني (أحمد بن محمد)
- "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" تحقيق إحسان عباس، بيروت 1968.
• المراكشي ،عبد الواحد)
- "المعجب" تحقيق محمد حقي
• المنوني (محمد)
- "العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين" ط 2، الرباط 1977
- النباهي (يوسف بن اسماعيل)
- "جامع كرامات الأولياء، بيروت 2002
• النشار (علي سامي)
- "مقال عن الششتري" مجلة المعهد المصري عدد 1 مدريد 1958
- "نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام" ح 2 ط 4، 1979.

L. Massignon : Recherches sur Shushtari,
Poête andalou : in melanges WM, Paris Cie 950,

Paul NWIA LX SJ, IBN ABBAD de Ronda,
Revue de recherches et d'études, Institut des lettres orient.

Urvoy (M. th), Bulletin d'études orientales
T. XXVVIII Année 1975 Damas 1977, P.P. 259-266.

# فهرس الموضوعات